7me Année No. 315

Lundi - 17 - 7 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٧ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

بين بطء الماضى وسرعة الحاضر

من الأحاديث العابرة ...

— اجلس قليلاً ياصديقى نتحدث ! لقد أصبحت كالطيف النافر لا نسمعك إلا هُتافاً ولا نراك إلا لمحاً ولا نجالسك إلا لماماً

— عصر السرعة ياصديقى ! لقد اشتد سائق الركب وأسرع فى النغم حاديه ! فمن تخلف عن قافلة الحياة افترسه الجوع وتخطّفه العدم !

— أوه ! أجل ياصديقى ! عصر السرعة، أو عصر الآلة، أو عصر الإنسان ذى الزمبلك ! أسماء مختلفة لمرض واحد: هو كَلَب هذه الحضارة الغربية !

— أتسمى نشاط الحياة وسرعة العمل ومساورة الرزق مرضاً؟ وأين تكون الصحة إذن ؟ أفى الخمود أم فى القعود أم فى التخلف ؟

— رويدك ياصديقى ! هل تستطيع أن تقول لى : لماذا يسرع الناس ؟ أليقطعوا العمر فى أعوام ؟ أليفنوا الشباب فى أيام ؟ أليقضوا اللذة فى ساعات ؟ وما قيمة كل ذلك فى دَرْك السعادة ؟ لقد كنا نشتغل بعض اليوم ، فأصبحنا نشتغل كل الليل ؛ وكنا نعمل باليد ، فأصبحنا نعمل بالآلة ؛ وكنا ننتقل بالجمل ، فأصبحنا ننتقل بالطيارة ؛ وكنا نأكل مطمئنين فى البيت ، فأصبحنا نأكل مضطربين فى الشارع ؛ وكنا نقيم العرس أربعين يوماً والمأتم سنة، فأصبحنا نقتصر من الفرح على ساعة العقد، ومن الحزن على تشييع

الجنازة؛ وكنا نخلق الكائن الفنيّ في دهر طويل من العمر ليكون متعة الذوق والذهن والعاطفة طول الأبد، فأصبحنا نصوره في ليلة ليفرغ الناس من تقديره في لحظة. فهل وجدنا من رخاء الصدر وسكينة الروح مقدار ما فقدنا من راحة البدن وفسحة الأجل؟

— وما يدريني؟ لو أنني أدركت العهدين لجاز أن أحسن الموازنة وأصيب الحكم؟

— أنا الذي أدركت العهدين، وأستطيع أن أقول لك إني أشعر بالفرق بين بطء العيش وسرعته، كما يشعر الظامئ الآمن بالفرق بين الرشيف والجرْع، وأدركه كما يدرك المتنزه الشاعر الفرق بين اجتياز الروض على القدم واجتيازه في السيارة. لا ريب أن الشارب إذا ترشف الماء وتمززه كان ذلك أنضح لغليله وأبرد على كبده من العبّ الذي يعجل الري ولكنه يؤجل المناءة. كذلك المتنزه على قدميه يجد في كل خطوة عالماً من الجمال، وفي كل وقفة فيضاً من اللذة؛ على حين لا يجد راكب السيارة إلا الخوف في كل نظرة، وإلا الخطر في كل كرّة!

أنظر! هذا الذي تراه واقفاً بعربته أمام الدار عامل من عمال (أورزدي باك). طلبنا من هذا المتجر بالتليفون بعض متاع البيت وحاجة العيش، فأرسله بالسيارة، وتسلمه الخدم، ولم نجد نحن الذين كلفتنا هذه الصفقة عشرة جنيهات ما كان يجده المشترون المتذوقون من لذة الانتقاء وفرحة الاقتناء وغبطة القدرة

هذه (العملية) التي لم تستغرق غير ساعة من النهار كانت في حياتنا القروية الذاهبة تقتضي من الزمن أسبوعاً ينقضي بين سوابق اللذة وآثارها مذهّب الأطراف بالأحلام، مطرز الحواشي بالصور، لا تكاد الأسرة تفيق من نشوته ولا تنتهي من حديثه!

***

دعني أعُد بالذاكرة إلى حدود الماضي البعيد فأذكر لك كيف كان رجال القرية يشترون حاجة عامهم من السوق. كان بين القرية والمنصورة ساعة ونصف بالحمارة السريعة، فأصبح بينهما اليوم ربع ساعة بالسيارة البطيئة! وكان القوم متى باعوا القطن أكثروا الحديث عن المتاع والكسوة والمنصورة، فتتهيأ الأذهان من قبلُ للسوق كما يتهيأ قلب المؤمن في رمضان للحج، وفكرُ (المتمدن) في أبريل للاصطياف. فإذا جاء يوم السوق الذي تواطأ رجال (الحارة) على الاشتيار فيه، كان كل شيء على تمام الأهبة: فالبرادع المنجّدة على الحمير، والأخراج المخططة على البرادع، والعصيّ الدقيقة في الأيدي الغليظة، والدنانير الذهبية في الأكياس العميقة، والفطائر الدسمة في المقاطف الوعيبة، وكبير (الحارة) قد تنفس عليه الصبح وهو على حماره في جرن القرية يحبس المتقدم ويستحث المتأخر؛ حتى إذا اجتمعت العِير واكتمل العدد ساروا في سكة السوق سطراً منضوداً يتناسق على نظام المقام والسن. وتسمع ضوضاءها من بعيد فتحار أذنك بين الكلام والضحك والنهيق وحث المطايا بالزجر والضرب، واصطكاك الحوافر بالتراب والحصى. فإذا بلغوا (طلخا) أودعوا حميرهم في (الوكالة) وهي (الجراج) بلغة اليوم، ثم وضعوا الأخراج على المناكب ومضوا صامتين إلى المعبر يركبون منه الفُلك إلى شاطئ المنصورة

وهنا يرفضُّ عن القوم النشاط والزياط والجرأة فيخشعون خشوع الطائر المهيض، لأن النيل غير الترعة، والسفينة غير النورج، والمدينة التي يسكنها الأفندية غير القرية التي يخيفها كلها أفندي واحد! هاهم أولاء يخرجون من ضيق القارب إلى زحمة الشارع فيمشون في سَواء الطريق أو على إفريزه سلاسل سلاسل يتماسكون عند الخوف، ويتكومون لدى الهلع، ويتصايحون عند الشتات، ويقفون اللحظة بعد اللحظة ريثما يعود الشارد ويلحق المتخلف، حتى ينزل بهم الدليل على (الخواجة) المقصود، نزول الغيث على الثرى المجهود، فيجلس الكهول على الكراسي، والشباب على الأرض؛ وينشر تاجر القماش وعماله الأثواب المختلفة على عيونهم الشاخصة وأيديهم الفاحصة، فيختلفون على النوع أو على اللون أو على السعر، فتعلو الأصوات، وتعنف الحركات، وتطول المساومة، حتى تخور القوى وتصحل الحناجر ويذهب الوقت فيقبلون أخيراً كل نوع يُعرض، ويرضون كل ثمن يُفرض!

ثم يقومون للغداء فيتخيرون شارعاً غير مطروق يجلسون حِلَقاً على حاشيتيه ويأكلون فطائرهم بالحلاوة والعنب والبلح وهم فرحون مبتهجون، ثم يعودون إلى البدال والعطار فيستأنفون النزاع على الصنف والسعر حتى يتشاءم الليل فيخرجون من سوق (الخواجات) يُجَرِّرون الأخراج والغرائر لا يهتدون في النور، ولا يأنسون بالناس، ولا ينتبهون للدليل، فينقطع الضعيف، ويضل الغافل، ويكون عند المعبر افتقاد ونشدان وضجة!

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

فإذا خلصوا بما معهم من المدينة والنهر واتمدوا ظهور المطى ونشقوا نسيم الحقول انبسطت المشاعر وانطلقت الحناجر فخاضوا فى أحاديث السوق ، وأفاضوا فى أعاجيب البندر ، وادعى كل منهم أنه كان أبصر بالبضاعة وأخبر بالسعر وأقدر على الخواجة !

وكان شباب القرية قد انتشروا مع الظلام فى طريق العودة يلقون العير ويكفونها مخاوف الليل . وكان نساء الغائبين وأطفالهم يتراقصون على أنغام المنى ، ويتسمعون على السطوح لجب القافلة . فإذا دخلت البلد قابلوها بالزغريد والأناشيد ، وقضت (الحارة) معظم الليل فى أكل البلح ومص القصب وتساق الحديث . ثم يصبح الصباح فتفتح الحقائب وتوزع الكُسى وتفرق الهدايا ، وتغرق هذه الأسر فى فيض من الفرح والمرح مدى أسبوع !

* * *

الواقع يا صديقى أن السرعة محنة هذه الحضارة . وذلك أنها وفرت على الناس الصحة وأخرت عنهم الموت حتى نموا وكثروا ، فهم يتزاحمون على موارد الرزق ، ويتسابقون إلى مظان القوت ، فأصبح من لا يجعل جناحيه فى رجليه لا يسبق ، ومن لا يصل بالعمل يومه لا ينال !

أحمد حسن الزيات

ضريبة الجمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشاطىء عامر ولكنه ليس بالمزدحم ، والبحر مائج له زئير ، والهواء هائج له صفير ، والراية السوداء كالقافية الحزنة تتكرر على مسافات متساويات أو متقاربات ؛ قافيـة محزنة والقصيده مفرحة تضج بالحركة والحياة ! ... وهذا من عجيب النظم فى شعر البحار والحمامات !

وإذا اتسع الأفق أمام العينين حتى كأنهما تنظران إلى مكان واحد ، وتجاوبت الأصداء على الأذنين حتى كأنهما قد كفتا عن السماع بعد طول التكرار ، فهنالك تنطلق الخواطر شتاتاً كما تنطلق خواطر الأحلام بعد تعطيل السمع والنظر ، فهى تارة تستقصى إلى ما وراء الأعماق ، وتارة تستقرب فلا تتجاوز أدنى المحسوسات ، مما علق بالذهن قبيل لحظات معدودات

وهكذا جلست أرقب الشاطىء وكأننى أحلم بما أراه . ومن حق الشاطىء وايم الله أن يحسب فى عداد الأحلام

ها هنا وها هناك تماثيل من خلق الله فى المعرض الحافل المتجدد : بعضها ولا ريب تحفة من تحف الخلق والتكوين ، وبعضها ولا ريب لازم للمناوبة بين شعور الإعجاب وشعور الرثاء ، أو للمناوبة بين إبداء المحاسن وإبداء العيوب

نعمة جزيلة وأى نعمة هذا الجمال الذى لا يقوّم بمال

نعمة يستمتع بها أصحابها وغير أصحابها ، وربما كان نصيب لابسيها دون نصيب الناظرين إليها ، لأنهم يعرضونها ويعطونها والناظرون هم الآخذون

بل هم حريصون على عرضها وإعطاء العيون منها كل نصيب تشتهيه

وإلا فما بال هؤلاء العارضين قد تهيأوا لنزول الماء والماء لا يقبل النازلين فيه !

سيقولون : للشمس لا للبحر ! ... لا تصدقهم ! ... فالشمس أيضاً من وراء سحاب ، قلما تسفر من ذلك الحجاب

إنما يتهيأون لحمام من أشعة النظر لا من أشعة الشمس ولا من أمواج الماء ، ويا له من حمام صحى على الجمال

* * *

وكنت حديث عهد بالضرائب ولجاج الموازنة بين الموارد والمصروفات

وبشاء الحلم أن يستقرب فى هذه المرة فيسنح لى خاطر كأسرع ما يكون وأقرب ما يكون :

ما للدولة لا تشارك الجميـل فى نعمة جماله كما تشارك الغنى فى نعمة ثرائه والصانع فى نعمة ذكائه أو عضلاته !

كل نعمة فللدولة منها حصة . فما بال الجمال لا يحسب من النعم عند مصلحة الضرائب الأميرية ؟ أو ما باله يحسب من النعم ولا يدخل فى الحساب ؟

علم الله لو فرضت ضريبة الجمال لجمت الدولة الملايين واستراحت من المحصلين ، لأن أصحاب الضريبة يؤدونها عن يد وهم شاكرون ،

ويشكون إن قل نصيبهم منها ... ويحمدون الله أن خرجوا بها مثقلين مرهقين

وخطر لى قلم المراجعة والمظالم وما يتوالى عليه من الشكايات والمراجعات

أفلانة تطالبها الدولة بألف جنيه ضريبة جمال ولا تطالبنى أنا بأكثر من بضع مئات ؟ من هو هذا الأعمى الذى ترتضيه الحكومة عاملاً لها فى لجنة التقدير ؟ ومن هى هذه « الضعيفة الذليلة » التى تذعن لهذا الحيف وتصبر على هذا الظلم المبين ؟

وخطر لى ما قبل الشكاية وقبل الرجوع إلى لجنة المراجعة

خطر لى الزوج المسكين وهو داخل على الزوجة العابسة المتحفزة للشجار : تشاجره هو لأنها لا تجد بين يديها الموظف « الأعمى » الذى ظلمها بذلك النصيب من الضريبة ، ولا تأمن العقبى من « التعدى فى أثناء تأدية الوظيفة » والإصرار على تطفيف ذلك النصيب المزور .

— ما بالك يا عزيزتى مهمومة البال ؟

— مالى أنا ؟ بل قل مالك أنت بين الأزواج ؟ قل مالك أنت بين الرجال ؟ قل مالك أنت بين خلق الله ؟

— أنا ؟ وما خطبي يرحمك الله يا أمة الله ؟

— نعم أنت ! ... أنت دون غيرك ! ... أنظر إلىّ ! افتح عينيك فى وجهى . افتحهما جيداً وقل لى : هل أنا دون فلانة فى الحسن والرشاقة والفتنة والأناقة ؟ هل أنا دميمة ذميمة أم هى خيبتى فيك — واحسرتاه — هى التى خيبتنى بين النساء ؟

وبعد بكاء واستغراق فى البكاء

وبعد جفاء وإمعان فى الجفاء

وبعد مائة سؤال ومائة جواب تظهر الحقيقة فإذا هى « تظلم من قلة الضريبة » وإرغام للزوج المسكين على المطالبة بمضاعفتها فى غمضة عين ، وهو هو الذى « يغرمها » ويكتوى بنارها ... وإلا فليس هو برجل بين الرجال ، وليست هى بزوجة ترضاه بهذه الحال !

ويخيل إلى صاحبنا أنه يخدعها عن هذا الطلب ببعض الوعود وبعض الهبات ، فيعود إلى المراوغة والإغراء :

— يا عزيزتى ! يا زينة النساء ... يا أجمل من خلق الله : أتهمك هذه الفلانة وهى لا ترتقى إلى مقام الجارية تحت قدميك ؟ أليس أولى من بذل المال فى الضريبة المضاعفة حلية تزيدك جمالاً على جمال ، وحلة تنفردين بها بين الأتراب والأمثال ، وشارة تغار منها فلانة ، وقُنية بعد ذلك باقية للحفظ والصيانة ؟

ثم تشتد الحيرة بالمباركة فلا تدرى أى الحسنيين تختار ، ولا بد أن تستقر ولا سبيل إلى قرار

هنا الحلية والحلة وما رفضتهما قط بنت من بنات حواء

وهنا الجمال بشهادة الحكومة واعتراف القانون وتسجيل الأوراق الرسمية ، وهى حجة تخرس اللسان ، ولا تدفع بالبرهان

مشكلة !

ولا طاقة للمباركة بحلها

فليحلها الزوج المسكين ، بالجمع بين الحسنيين !

* * *

خطرت لى هذه الخواطر ، وتمثلت القائمين على خزانة الدولة بين إغراءين كاللذين حارت فيهما المباركة صاحبة الظلامة من تطفيف الضريبة

فماذا يصنعون ؟

هل ينتفعون بإقبال الناس على البذل والإعطاء فيقبلون من كل باذل ، ويستجيبون لكل طلب ، ويشهدون لكل راغبة فى شهادة ؟

أو يؤثرون أمانة الذوق وصدق النظر ونصفة الفن على ضخامة المورد وموازنة الأبواب ؟

مشكلة !

لكنها ليست بالمشكلة العويصة فيما أحسب ، وليست بالمشكلة التى تحل بالجمع بين الأمرين فيما أعتقد ... لأن الأمانة فى تقويم الجمال ، سر قابل للاستغلال ، وباب جديد لفرض الضرائب على الخاطبين السائلين ، وعلى مسابقات الجمال فى غير حاجة إلى محكمين ، وعلى أفانين شتى قد تظهر بعد حين ، فإن فات الخزانة ربح الطمع فلن يفوتها الربح من هذه الأفانين .

عباس محمود العقاد

حول الوحدة العربية

إلى الدكتور طه حسين

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

أيها الأستاذ :

لقد مضى نحو ستة أشهر على نشر الانتقادات التي وجهتها إليكم — في مجلة « الرسالة » — بمناسبة حديثكم المنشور في مجلة « المكشوف » البيروتية ، حول « الوحدة العربية وموقف مصر منها » ، وعلى نشر « الفصل الجوابي » الذي أرسلتموه إلى « الرسالة » رداً على تلك الانتقادات(١)

لم أكتب إليكم شيئاً حول هذه القضية خلال هذه المدة لأسباب ستظهر لكم من الأسطر التالية ، ومع هذا أشعر الآن بدافع قوي يدفعني إلى مخاطبتكم في هذه المسألة ، بالرغم من مرور هذه الأشهر الطويلة ، لمواصلة البحث فيها والمناقشة عليها

* * *

كنت غادرت بغداد إلى المغرب الأقصى قبل وصول عدد الرسالة الذي نشر فيه ردكم ، فلم أطلع عليه إلا في بيروت قبل سفري منها بالطيارة . قرأت الرد هناك فوقعت في حيرة عميقة ، لأنني انتهيت من قراءته دون أن أجد فيه كلمة واحدة يصح أن تعتبر رداً على ملاحظاتي الاعتراضية ، أو جواباً على أسئلتي الانتقادية . . . لأن الآراء المسرودة في الفصل كانت تحوم حول قضية « وحدة الثقافة » و « واجب مصر في أمر هذه الوحدة» في حين أن هذه القضية لم تكن في القضايا التي اختلفت معكم فيها ، بل كانت في القضايا التي شكرتكم عليها ؛ فإنني ختمت مقالتي الانتقادية بالعبارات التالية :

« هذا ، وأرى ألا أختم اعتراضاتي ، دون أن أتوجه إليكم بكلمة شكر ؛ فإني أشكركم من صميم فؤادي على مناداتكم بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية ، لأنني أعتقد أن توحيد الثقافة من أهم العوامل التي تهيئ سائر أنواع التوحيد. فأقول بلا تردد : اضمنوا لي وحدة الثقافة، وأنا أضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة ... »

فكان من الطبيعي أن أقع في دهشة عميقة من قراءة الفصل الذي نشرتموه في الرسالة تحت عنوان « الرد »

وأخذت أفكر — وأنا أقطع الفضاء فوق أجواء البحر الأبيض المتوسط — في تعليل الخطة التي انتهجتموها في هذا الباب : « كيف سوغ الدكتور طه حسين لنفسه أن يسمى هذا الفصل رداً ؟ »

قلت في بادئ الأمر : يظهر أن الأستاذ قد شعر بالخطأ الذي وقع فيه فلم يجد مجالاً للرد على الانتقادات التي وجهت إليه ، ولم يرد مع هذا أن يعترف بذلك ، فأراد أن يتظاهر بالرد بنشر فصل لا علاقة له بموضوع الانتقاد والاعتراض

غير أنني لم أرتح لهذا التفسير والتعليل ، لأنني استبعدت منكم أن تسلكوا مثل هذا المسلك في مناقشة قضية هامة مثل قضية الوحدة العربية ، فواصلت التفكير في الأمر إلى أن خطر على بالي تعليل آخر أقرب إلى العقل من التعليل الأول . يقول الدكتور طه حسين : إن الرد هو فصل من كتاب تحت الطبع ؛ أفليس من الممكن أن يكون قد حدث سهو في نقل الفصل من الكتاب ؟ قد يكون في الكتاب فصل يتضمن الرد ؛ غير أن الدكتور قد سها في رقم الفصل ؛ فالطبعة أرسلت إلى (الرسالة) فصلاً آخر غير الفصل المقصود

عند ما لحت هذا الاحتمال ، ركنت إليه كل الركون وقلت في نفسي : قد ينشر الدكتور في العدد التالي من الرسالة تصحيحاً لما حدث ؛ غير أن سفراتي السريعة سوف لا تترك لي مجالاً للاطلاع على ذلك قبل عودتي إلى بغداد . . فلا بد لي من الانتظار إلى ذلك الحين للوقوف على التصحيح ، أو لقراءة الكتاب

ولهذا السبب ، عند ما عدت إلى بغداد بعد إتمام رحلتي في المغرب الأقصى والجزائر وتونس وصقلية — أسرعت إلى تصفح أعداد الرسالة التي صدرت في غيابي ؛ ولما لم أجد فيها شيئاً يتعلق بالموضوع الذي نحن بصدده ، طلبت نسخة من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ؛ وأخذت أقرأ بانتباه شديد باحثاً فيه عن « الرد » ... غير أنني وقعت في دهشة أشد من دهشتي الأولى عند ما انتهيت من قراءة فصول الكتاب بأجمعها، دون أن أصادف فيها أيضاً ما يصح أن يعتبر جواباً على أحد أسئلتي الانتقادية ... فقلت في نفسي : لم يبق مجال لتعليل الأمر بغير الملاحظة التي كانت وردت على ذهني عقب مطالعة الرد المنشور في مجلة الرسالة

(١) الرسالة عدد ٢٨٥ و ٢٨٦ — ١٩ و ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨

مع هذا لم أشأ أن أكتب شيئاً حول هـذا الموضوع ، للملاحظتين التاليتين : أولاً ، كان قد مضى على نشر ردكم مدة تناهز ثلاثة أشهر بسبب ظروف رحلتي . ثانياً ، إن « تباعد الرد عن موضوع البحث والمناقشة » كان من الأمور الجلية التي لا تحتاج إلى التوضيح والتنبيه ؛ كما ظهر لي ذلك من أقوال الشبان الذين حادثتهم خلال رحلتي في باريس ، وتونس ، وسورية

فقلت في نفسي : لا داعي إلى كتابة شيء في هذا الموضوع بعد انقضاء هذه المدة ، ما دام رد الدكتور طه حسين لم يكن من النوع الذي يستطيع أن يخدع أحداً من القراء الأذكياء

ولذلك لم أعد إلى هذا البحث منذ ذلك الحين

***

غير أنني اطلعت أخيراً على مقالكم المنشور في العدد الممتاز من مجلة الهلال ، عن « العقل العربي الحديث » . ورأيت أنكم عرضتم في ذلك المقال لمسألة « الوحدة العربية » بطرق ملتوية : بعد أن سردتم بعض الآراء حول « تطور العقل البشري » بوجه عام ، وتطور « العقل الأدبي الحديث » بوجه خاص ، بحثتم عن وجوب « تجديد العقل العربي » ، وذكرتم ما تعتقدونه في وسائل هذا التجديد ... وفي الأخير ، انتقلتم إلى مسألة « الوحدة العربية » بطريقة « ظريفة وطريفة » إذ قلتم ما يلي :

« وربما كان من الأمثلة الظريفة الطريفة التي تبين الفرق بين العقل العربي القديم ، والعقل العربي الحديث في هذا العصر الذي نعيش فيه ، مسألة الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية التي يكثر فيها الكلام وتشتد فيها الخصومة ؛ فما أظن أن الناس يختلفون في أن هذه الوحدة نافعة للشعوب العربية وللشعوب الإسلامية أشد النفع ، وفي أن مصالحهم تدعوهم إليها وتدفعهم إليها دفعاً ، ولكنهم مع ذلك يختلفون ويختصمون لا لشيء إلا لأنهم يختلفون في تصور هذه الوحدة حسبما يتاح لهم من العقل القديم أو العقل الحديث . فأما أصحاب القديم فيفهمون هـذه الوحدة كما فهمها القدماء في ظل سلطان عام شامل يبسط عليها جناحيه ويحوطها بقوته وبأسه ، وليسمَّ هذا السلطان خلافة ، وليسمَّ ملكاً كما كان يسمى قديماً ، ويجوز أن يسمى إمبراطورية ليكون له حظ من الطرافة ، فقد عرف القدماء الإمبراطوريات واحتفظ بها المحدثون من الأوربيين . وكذلك يخدع العقل القديم نفسه فيظن أنه أصبح حديثاً . وأما أصحاب العقل الحديث فيفهمون هذه الوحدة على نحو ما تفهم عليه في البلاد المتحضرة بالحضارات الحديثة الأوربية . يفهمونها على أنها لا تنفع ولا تفيد إلا إذا احتفظت بالقوميات والشخصيات الوطنيـة والحريات الكاملة لأعضائها والسيادة العامة لهم في حياتهم الداخلية والخارجية وقامت على الحلف الذي لا يفني أمة في أمة ، ولا يخضع شعباً لشعب ، وإنما يمكن الأمم من أن تتعاون على أساس ما يكون بين الأنداد من المساواة .

فإذا قال صاحب العقل الحديث مقالته هذه ضاق به صاحب العقل القديم أشد الضيق ، لأن عقله لم يتطور بعد ، ولم يستطع أن يكون من أهل العصر الذي يعيش فيه ، وإنما هو محتفظ بكل مشخصات القرون الوسطى ، وهيهات لمشخصات القرون الوسطى أن تسيغ ما يقع في القرن العشرين ... »

يظهر لي من كلماتكم هذه أنكم بعد أن تهربتم من مناقشة مسألة الوحدة العربية مناقشة مباشرة — حين دُعيتم إليها — أردتم أن تعودوا إليها عن طريق التعريض والتلويح ، كما وددتم أن تستهووا أذهان قرائكم عن طريق اتهام معارضيكم بالتمسك بـ « مشخصات القرون الوسطى » ، وإلباس رأيكم حلة قشيبة من « مقتضيات العقل العربي الحديث » .

فاسمحوا لي إذن أن أتبعكم في هذه الطرق الملتوية ، وأن أزن ملاحظاتكم بميزان « العقل العربي الحديث » الذي تشيرون إليه .

لا أدري إذا كان الانصراف عن مناقشة المسائل مناقشة مباشرة ، والالتجاء إلى طرق « التعريض والتشويش » في أمرها مما يفيد — في عرفكم — في مقتضيات العقل الحديث . غير أنني أعتقد أنكم تسلمون معي — على كل حال — بأن العقل العربي الحـديث يجب أن يكون على غرار العقل الأوربي الحديث ، ولا تنكرون — بالطبع — أن « العقل الأوربي الحديث » يتطلب السير على مناحي الأبحاث العلمية ، على أساس استنطاق الوقائع والحادثات واستقرائها متجرداً عن تأثيرات الميول النفسانية والآراء القبلانية ...

فلننعم النظر في الملاحظات التي نقلتها آنفاً عن مقالكم لنرى مبلغ ملاءمتها لمقتضيات « العقل العربي الحديث » التي تدعون إليه:

أولاً ، إنكم تبحثون في كلامكم هذا عن الوحدة العربية والوحدة الإسلامية كأنهما مسألة واحدة ، في حين أن إحداها تختلف عن

الأخرى اختلافاً كلياً . فإن فكرة « الوحدة العربية » ترمى إلى توحيد الشعوب التي تتكلم بلغة واحدة ، في حين أن فكرة « الوحدة الإسلامية » ترمى إلى توحيد الأمم التي تتكلم بلغات مختلفة ، بالرغم من تدينها بدين واحد ؛ فالبون بينهما شاسع جداً ، فإن الدعوة إلى « الوحدة العربية » لا تتضمن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الشاملة ؛ كما أن عدم الإيمان بإمكان تحقيق « الوحدة الإسلامية » لا يستلزم إنكار إمكان تحقيق « الوحدة العربية ». ولذلك أقول بلا تردد إن خلط هاتين المسألتين ، والنظر إليهما بنظرة واحدة ، يخالف أبسط حقائق علم الاجتماع ، وأبرز وقائع تاريخ السياسة ، ولا يتفق مع الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه

ومن الغريب أنكم لا تكتفون بالخلط بين هاتين المسألتين ، بل تحشرون بينهما مسألة الخلافة أيضاً بصورة غريبة ، وتنظرون إلى هذه المسائل كلها بنظرة واحدة . لقد تعودنا أن نرى آثار مثل هذا الخلط ، في كتابات بعض الساسة من الأوربيين المستعمرين ، لأنهم ينظرون — عادة — إلى هذه المسائل كلها من وجهة نظر أطماعهم الاستعمارية ، ويسعون إلى وصم جميع الحركات القومية والوطنية بوصمة « التعصب الديني » ليثيروا الرأي العام الأوربي عليها ... غير أننا ما كنا ننتظر منكم أن تقتفوا أثر هؤلاء الساسة من حيث لا تشعرون ، وأن تخلطوا بين هذه المسائل بهذا الشكل الغريب .

فأرى من واجبي أن أصرح لكم في هذا المقام ، بأنني مع عدد كبير من المفكرين القوميين الذين أعرفهم وأتصل بهم على الدوام أنظر إلى قضية « الوحدة العربية » كقضية مستقلة عن قضايا « الوحدة الإسلامية » و « الخلافة الإسلامية » كل الاستقلال . وأؤكد لكم أنني — بقدر ما أومن بفكرة العروبة ، وبقدر ما أعتقد بإمكان الوحدة العربية ، وبقدر ما أقول بوجوب السعي وراء تحقيقها — أعتقد باستحالة « الوحدة الإسلامية » ؛ وأقول إن « إثارة فكرة الخلافة » مضرة بـ « قضية الوحدة العربية » و « فكرة التضامن الإسلامي » في وقت واحد

***

هذا ومن جهة أخرى ألاحظ أنكم تبشرون — في مقالكم هذا — بأن « الوحدة » نافعة لـ « الشعوب العربية والإسلامية » أشد النفع ؛ وتقولون بأن الناس لا يختلفون في منافع هذه الوحدة ، إنما يختلفون في « تصورها حسب ما يتاح لهم من العقل القديم والعقل الحديث » ... كما تصفون لنا نوعي هذا التصور وصفاً بارعاً : بالنوع الذي يقول به « صاحب العقل القديم » ، وهو الذي « يتصور الوحدة تحت ظل سلطان شامل » ؛ والنوع الذي يقول به « صاحب العقل الحديث » ، وهو الذي يتصور الوحدة على أساس ما يكون بين الأنداد من المساواة ... »

أنا لا أود أن أبحث عن مبلغ مطابقة وصفكم هذا للحقائق الراهنة ؛ غير أني أرى من الضروري أن أقول لكم في هذا المقام إنني قد اطلعت — قبل مدة — على رأي في « الوحدة العربية » يختلف عن هذين الرأيين في وقت واحد : فإن صاحب ذلك الرأي ، كان لا يقبل « الوحدة » ، « ولو كانت على أساس المساواة » ، ولا يرضى بالوحدة ، « ولو كانت على نمط اتحاد يشابه الاتحاد الأميركي أو السويسري » ... فهل تسمحون لي أن أسألكم : أتعتبرون موقع هذا الرأي في العقل القديم أم العقل الحديث ؟

لا أشك في أنكم لن تطلبوا مني أن أذكر لكم اسم صاحب هذا الرأي ؛ غير أني أظنكم سوف تعذرونني إذا ذكرت ذلك تنويراً للقراء :

إن صاحب هذا الرأي — الذي يخالف مقال صاحب العقل القديم ومقال صاحب العقل الحديث في وقت واحد — هو صاحب « الحديث » المنشور في مجلة « المكشوف » !.. ذلك الحديث الذي كان مبدأ ومنشأ لجميع هذه المناقشات !

فقد قرأت في ذلك الحديث ، العبارة التالية ، بحروفها :

« مصر لن تدخل في وحدة عربية ، حتى ولا اتحاد عربي ، سواء أكانت مساوية فيه للأمم العربية الأخرى أو مسيطرة عليها ... » (المكشوف — العدد : ١٧٥ — الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة . . .)

كما قرأت في مكان آخر من ذلك الحديث العبارة التالية ، بنصها :

« الوحدة العربية ، كما يفهمها ذووها يجب أن تتحقق بشكل إمبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأميركي أو السويسري . »

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ٦ —

أرى من الواجب في مطلع هذا المقال أن أوضّح مسألتين خفيتا على بعض القراء فجرت ألسنتهم بالعتب والملام .

المسألة الأولى ، هي الحكم بأن أحمد أمين ينظر إلى الأدب ، وإلى الوجود نظرة عاميّة ؛ فقد ظن فريق من الناس أننا نقول بأنه من العوامّ في حدود الاصطلاح المألوف ، على معنى أنه بعيد عن الجوّ الذي يعيش فيه العلماء .

وذلك غير ما نريد . فأحمد أمين تلقى العلم في مدرسة القضاء الشرعي وظفر بإجازتها العالية ، وجلس للقضاء في المحاكم الشرعية بضع سنين . ثم اشتغل بالتدريس في الجامعة المصرية . فهو ليس عامّيا بالمعنى المعروف ، وإنما نريد أن نقول إن أحمد أمين على كثرة ما قرأ في الكتب وما سمع من العلماء لا يزال يفكر كما يفكر العوامّ .

ولتوضيح ذلك نقول : إن في أهل العلم من يكون أقل اطلاعاً من زملائه ، ولكنه قد يكون أقوى منهم في صحة الفهم وسلامة التمييز وقوّة الإدراك ، فيكون محصوله القليل أجدى وأنفع ، ويكون له في أحكام العقل مجال

وفي مقابل ذلك نرى بعض العلماء المزودين بكثير من الثقافات ينظرون إلى الوجود نظرات عامية لا تمتاز بشيء عن نظرات العجائز من قعائد البيوت .

وأحمد أمين قليل الاطلاع في ميدان الأدب العربي بلا جدال ، وهو مع قلة اطلاعه يحكم على الأدب أحكاماً عامية ، بعيدة كل البعد عن أحكام الخواصّ ، وقد أسلفنا الشواهد التي تؤيد رأينا فيه ، وسنسوق شواهد جديدة .

المسألة الثانية ، هي التعرض لأعماله المعاشية : فقد استنكر بعض القراء أن نقول إنه يكسب كيت وكيت ، وعدوها مسألة شخصية

ونقول إننا تعرضنا لذلك لغرضين : الأول هو النص على أن أحمد أمين مشغول عن الفكر والقلم بشواغل تصرفه عن التجويد في البحث والتفكير والإبداع ، والغرض الثاني هو تذكيره بأنه لا يجوز لمثله أن يعيب على أدباء العرب أن يشغلوا بمعاشهم وهو يقتل وقته بتدبير المعاش

ولو شئت لقلت إن الرجل الذي يدعو إلى هجر الأدب الجاهلي جملة واحدة بحجة أنه يشلّ التفكير هو نفسه الرجل الذي اشترك في تأليف الكتاب « المجمل » والكتاب « المفصل » والكتاب « المنتخب » بأجر معلوم تعرفه خزينة وزارة المعارف

فإن كان أحمد أمين صادقاً في حكمه على الأدب الجاهلي فكيف جاز عنده أن يشترك في تلك المؤلفات وفيها مكان ظاهر للأدب الجاهلي وهي خليقة بأن تشل عقول التلاميذ ؟ !

وكنت قلت إن الأستاذ أحمد أمين لا يستطيع أن يخدم الجامعة المصرية بالمجان ، وإنه يأخذ منها في كل شهر ستين ديناراً ، فكتب

(الكشوف — العدد : ١٧٥ الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة ...)

ترون من كل ذلك أيها الأستاذ أن مسألة الوحدة العربية ليست من القضايا التي يمكن أن تناقش وتعالج بالصناعة الكلامية والاندفاعات الارتجالية ... كما ترون أن الخطة التي سلكتموها في معالجة هذه القضية تجركم دائماً إلى مواقف تخالفون فيها الحقائق الراهنة مخالفة صريحة ، كما جرّتكم في بعض الأحيان إلى مواقف تناقضون فيها أحاديثكم الذاتية أيضاً ...

إنكم تدعون المفكرين إلى بذل الجهود في سبيل « تجديد العقل العربي » ... وكم كنت أود أن أراكم تعملون بهذه الدعوة في المناقشات التي تخوضون فيها ، ولا سيما إذا كان موضوع المناقشة من الموضوعات الهامة مثل « فكرة العروبة » و « الوحدة العربية » ...

« برمانا » أبو خلدون

إلينا أحد المطلعين يقول إنه يأخذ من الجامعة فى كل شهر خمسة وثمانين لا ستين

فهل يجوز للرجل أن يأخذ هـذا المبلغ بطمأنينة خلقية فى تدريس الأدب العربى وهو يعتقد أنه أدب لا يستحق العناية وأنه كان فى ماضيه الطويل أدب تسوُّل واستجداء ؟

وبعد توضيح هاتين المسألتين أرجع إلى هذا الرجل رجعة قاضية .

لقد دل على مبلغ فهمه للأدب حين ساق هذين البيتين فى مقاله الثالث فى جناية الأدب الجاهلى :

فما روضة زهراء طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهناً إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

قد ضبط هـذين البيتين على نحو ما يرى القارئ : فجعل الندى فى البيت الأول فاعلاً وجعل الجثجاث والعرار مفعولين ، وجعل « أوقدت » فى البيت الثانى مبنياً للمعلوم ونصب النار على المفعولية

فهل سمعتم قبل ذلك أن الندى يمج الزهر والنبات ؟

لو كان أحمد أمين يتأمل ما يقرأ لعرف أن الندى فى البيت الأول من هذين البيتين لا يمكن أن يكون فاعلاً ، ولعرف أن « أوقد » فى البيت الثانى فعل مبنى للمجهول ليجعل الشاعر معشوقته عقيلة تخدمها الوصائف

فهل يستطيع أحمد أمين أن ينكر أنه أخطأ فى ضبط هذين البيتين ؟

وهل يمكن لمن يثقون بكفايته الأدبية أن ينكروا أن لمثل هذا الفهم الخاطئ دلالة على مبلغ إدراكه لدقائق المعانى ؟

***

نترك هذا وننتقل إلى أحكامه على الشعر العربى فى العصر الإسلامى ، وهو يراه لم يتغير من حيث الموضوع فظل كما كان محصوراً فى المديح والهجاء والفخر والحماسة والغزل والرثاء

والظاهر أن أحمد أمين لم يدرس الشعر الأموى دراسة تمكنه من فهم الفروق بينه وبين الشعر الجاهلى ، فليس بصحيح أن الموضوعات لم تتغير ، وليس بصحيح أن الشعراء الأمويين كانوا يتناولون الأغراض الشعرية على نحو ما كان يتناولها الجاهليون

وإذا صح أن الشعر الجاهلى والإسلامى متحدان فى الموضوعات فهناك فرق ظاهر جدًّا بين العصرين فى تصور تلك الموضوعات

فالغزل فى العصر الأموى فنٌّ جديد لا يعرفه العصر الجاهلى ، وهل يتصور أديب أن أشعار عمر بن أبى ربيعة كانت لها سوابق عند الجاهلية ؟

هل يتصور أديب أن تائية كثيّر فى أغراضها ومراميها كانت لها نظائر فى الشعر الجاهلى ؟

وهل يصح لأديب أن يقول بأن غزليات العرجى وجميل والحارث بن خالد كانت لها أشباه قبل العصر الإسلامى ؟

إن الأمويين تغزلوا كما تغزل الجاهليون ، ولكنهم تفردوا بابتكار فن جديد هو القصص الغرامى ، فهل فطن لذلك أحمد أمين؟

وهل يمكن نكران ما وصل إليه الأمويون من الرقة والظرف فى النسيب ؟

أليس فيهم الذى يقول :

إن لى عند كل نفحة بستا ن من الورد أو من الياسمينا
نظرةً والتفـــاتةً أترجّى أن تكونى حللت فيما يلينا

أليس فيهم الذى يقول :

يا أم عمران ما زالت وما برحت بنا الصبابة حتى مسّنا الشفقُ
القلب تاق إليكم كى يلاقيكم كما يتوق إلى منجاته الغَرِق
تعطيك شيئاً قليلاً وهى خائفة كما يمس بظهر الحيــة الفَرِق

أليس فيهم الذى يقول :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى وبالأمل المرجوّ قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى أواخـــره لا نلتقى وأوائــــله

أليس فيهم الذى يقول :

ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانبا
ليممتُ طِيتهـــا إننى أرى حبها العجب العاجبا

أليس فيهم الذى يقول :

وإنى لأستحييك حتى كأنما علىّ بظهر الغيب منك رقيب
ولو أننى أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علىّ ذنوب

إن تفصيل ما امتاز به شعراء العصر الأموى فى النسيب يحتاج إلى كتاب خاص سيؤلفه أحمد أمين يوم يعرف أن الأدب لا يكال بمكيال ولا ينظر إليه بالعد والإحصاء

إن من أعجب العجب أن يقال إن الشعراء الأمويين لم يبتكروا شيئاً فى التشبيب ، وهم الذين أمدوا لغة العرب بثروة وجدانية ستعيش ما عاشت لغة القرآن

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى قد ابتكر الاستشهاد فى الحب ؟

ألا يكفى أن يكون ذلك العصر هو الذى خلق شخصية مجنون ليلى ، وهى شخصية شرّق سحرها وغرّب ، فكانت لها أصداء عند الشعراء من أهل الشرق وأهل الغرب ؟

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى هو الذى فهم أن الحج من المعارض الدولية للصباحة والملاحة والجمال ؟

ألا يكفى أن يكون شعراء العصر الأموى هم الذين أذاعوا بين الناس فتنة الهيام بأسرار الوجود ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم جهل الأستاذ أحمد أمين أن العصر الأموى هو العصر الذى تفرد بإجادة الأراجيز ، ولكن هل فكر أحمد أمين فى الأراجيز الأموية ؟

الحق أن العصر الأموى يحتاج إلى أدباء عظام يسجلون فضله على اللغة العربية ، ففى ذلك العصر ظهر الشعر السياسى ، وهو فن من الأدب يختلف عن التعصب للقبيلة كل الاختلاف ، وله مزايا وخصائص تنتظر أديباً له نظرة خاصية لا عامية

فتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن من العار أن يقول أستاذ من كلية الآداب بأن الأدب فى العصر الأموى ليس إلا صورة من الأدب فى العصر الجاهلى

وهل يستطيع إنسان أن يقول بأن الكميت بن زيد الأسدى كان له نظير بين شعراء الجاهلية ؟

إن العصر الأموى ينتظر أديباً يفهم أنه كان صلة الوصل بين العصر الجاهلى والعصر العباسى ، ويدرك أنه تحرر كل التحرر من العقلية الجاهلية

فتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن عميد كلية الآداب اليوم هو الأستاذ محمد شفيق غربال ، وهو مؤرخ جليل يفهم أن دراسة تاريخ القرون الوسطى أمر واجب ، لأن ذلك التاريخ كان الصلة بين القديم والحديث ، فهل نستطيع أن نشير عليه بأن ينشئ فى كلية الآداب كرسيا للعصر الأموى الذى جهله أحمد أمين ؟

ليت ، ثم ليت ! !

* * *

إن المسافة بين العصر الجاهلى والعصر العباسى طويلة جدًّا ، لأنها تقع فى نحو خمسين ومئة سنة ، وهى المدة التى انتظمت عصر النبوة وعصر الخلفاء وعصر الأمويين ، وفى تلك المدة كانت الشخصية العربية هى الشخصية التى تهدد ممالك الأرض ، والتى تسنّ شرائع الفتوّة وقوانين المجد ، والتى تلوّن العالم بألوان مختلفات ، والتى مكنت العرب من أن يكون لهم صوت مسموع فى أقطار المشرق والمغرب

فهل يُعقل أن يكون أدب العرب فى ذلك العهد صورة ثانية من أدبهم فى أيام الجاهلية ؟

ومن الذى يصدق أن الشعراء المسلمين كانوا يتهاجون على نحو ما كان يصنع الجاهليون ؟

وهل خطر ببال أحمد أمين أن العصبية السياسية فى العصر الإسلامى كانت لها ألوان لم يعرفها شعراء القبائل فى الجاهلية ؟

هل فكّر فى تحديد الخصائص الشعرية للمدح والهجاء فى العصر الأموى ؟

وهل تنبه إلى ما ابتكره الشعراء الأمويون حين أوقدوا نار العصبية الجاهلية ؟

يعزّ علىّ والله أن يقع فى هذه الأخطاء أستاذ فاضل من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية ، وهى اليوم معهد عظيم يحج إليه طلبة العلم من أقطار الشرق

يعزّ علىّ أن يكون فى رجال الجامعة المصرية من يفهم أن العصر الإسلامى صورة من العصر الجاهلى فى التفكير ، وطرائق التعبير مع أن ذلك مستحيل

وهل يتصور عاقل أن خطب علىّ بن أبى طالب صورة من خطب أكثم بن صيفى مثلاً ؟

هل يقول مفكر بأن رسائل عبد الحميد صورة مكررة لما كان يكتب الجاهليون ؟

وهل يمكن القول بأن معاوية كان يكتب بأسلوب عمر بن الخطاب ؟

إن التطور شريعة طبيعية يا صديقى ، فكيف نتوهم أن يكون العرب خرجوا وحدهم على تلك الشريعة ؟

إن العرب فى أدبهم وتصورهم وعقليتهم قد انتقلوا من حال إلى أحوال ، وإن غاب ذلك عن فطنتك الواعية

وأين أنت من القصص الرائع الذى عرفته المساجد فى العصر الأموى ؟

أين أنت من الشعر الرقيق الذى ابتكره الأمويون فى وصف مجالس الأنس والشراب ؟

وهل تعرف يا حضرة الفاضل أن العصر الأموى ظلم أقبح الظلم حين اعتدى عليه خلفاء بنى العباس بالمحو والتبديل ؟

هل مرّ فى خاطرك أن العصر الأموى رُزىء بمؤامرة سياسية حرَمتْ تاريخه الأدبى من نعمة الوجود ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم يتحذلق الأستاذ أحمد أمين فيقرر أن الخضوع للأوزان الجاهلية والقوافى الجاهلية جنى علينا جنايات كبرى، لأنه «حرمنا من الملاحم الطويلة التى كانت عند الأمم الأخرى وحرمنا من القصص الطويلة الممتعة »

وهذا الحكم يشهد بأن أحمد أمين يجهل طبيعة الأمة العربية بعض الجهل ، ويجهل طبائع الأمم الأخرى كل الجهل

إن أحمد أمين لا يعرف أن العرب ليس فى طبيعتهم أن يأنسوا بالمنظومات المطولة فى القصص والتاريخ ، ومن يتوهم أن العرب كان يجب عليهم أن يسلكوا فى الشعر مسالك اليونان ، وذلك خطأ فظيع

إن عبقرية العرب ليست فى القصص ، وإنما عبقرية العرب فى الثناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية، وفى بلاد العرب نشأت أحاديث القلب والوجدان، وهم بلا جدال أصدق من تحدث عن الأرواح والقلوب

فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن ، وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب

* * *

وإلى الأستاذ الجسر أوجه الكلمة الآتية :

أنت تعجب أيها السيد من أن نمنح أحمد أمين « قدرة الجناية على الأدب العربى » وأجيب بأن أحمد أمين ليس من النكرات حتى نتركه يتحذلق كيف شاء . إن أحمد أمين أستاذ بكلية الآداب يا حضرة السيد ، وكلية الآداب من أكبر معاهدنا العالية ، وما يصدر عن أساتذتها الأفاضل قد يتلقاه أكثر الناشئين بالقبول

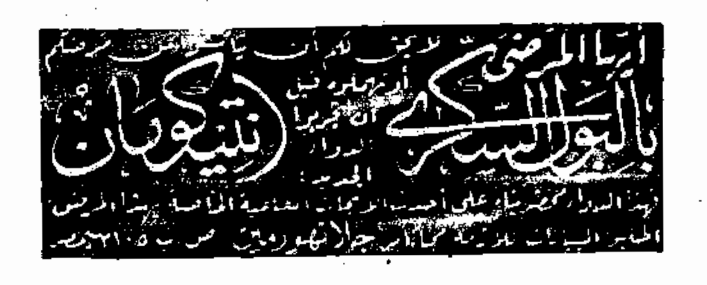
وما الذى نخشاه من منح أحمد أمين ما لا يستحق ؟

إن كان هجومنا عليه يعطيه فرصة جديدة من فرص الشهرة فلا بأس ، فهو صديق عزيز ، والتنويه بشأنه من أوجب الفروض

المهم « يا حضرة السيد » أن يعرف أحمد أمين أن فى مصر رقابة أدبية تزجر المتطاولين على ماضى الأدب العربى وتصرفهم عن اللجاج فيما لا يفيد

ونحن لا نحارب أحمد أمين بالذات ، وإنما نحارب الآراء التى نقلها نقلاً عن خصوم اللغة العربية ، وسنرى فى المباحث الآتية ما يشفى صدور قوم مؤمنين

« للحديث شجون » زكى مبارك



في اللغة

إخوان الفــــوارس

لأســـتاذ جليل

إخوان الفوارس (أي هذا الجمع الشاذ) هم أكثر من السبعة الذين ذكرهم الصحاح والتاج ، وجيء بهم في جزء سابق من (الرسالة الغراء) والسبعة هم : الفوارس، والهوالك، والنواكس والخوالف[1] ، والفوارط[2] ، والغوائب، والشواهد[3]

فهناك ستة غيرهم أظهرهم موهوب بن أحمد الجواليقي في (شرح أدب الكتّاب) وأودعهم البغدادي (خزانته) وهناك اثنان ذكرهم التبريزي في (شرح ديوان الحماسة) وهذه جريدة الثمانية :

١ — الحوارس جمع الحارس

٢ — الحواجب جمع الحاجب ، من الحجابة

٣ — الخواطئ جمع الخاطئ ، من ذلك ما جاء في المثل : مع الخواطئ سهم صائب

قال التاج . يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً ، وقال أبو عبيد : يضرب للبخيل يعطى أحياناً

٤ — الروافد جمع الرافد

قال ضمرة بن ضمرة النهشلي :

رطارق ليل كنت حَمّ مبيته إذا قل في الحي الجميع الروافد

قال الأنباري شارح المفضليات : الروافد جمع الرافد كقولك فارس وفوارس ، وهي أحرف (يعني كلمات) يسيرة . والرفد المعونة ، وحم مبيته : قصْد مبيته

(١) في اللسان : وقوله (عز وجل) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف . قيل النساء ، وقيل : (الخالف) الفاسد من الناس ، وجمع على فواعل كفوارس ، وفي التاج : وقيل : الخوالف الصبيان المتخلفون

(٢) في التاج : قد يجمع الفارط على فوارط وهو نادر كفارس وفوارس وأنشد للأفوه الأودي :

كنا فوارطها الذين إذا دعا داعي الصباح إليهم لا يفزع

قال شيخنا : يزاد على نظرائه الثلاثة ، قلت : نظراؤه أكثر من ثلاثة عشر يا شيخ ...

(٣) في خزانة الأدب للبغدادي . قال عتيبة بن الحارث لجزء بن سعد :

أحامى عن ديار بني أبيكم ومثلي في غوائبكم قليل

فقال له جزء : نعم وفي شواهدنا . فجمع عتيبة غائبا على غوائب وجمع جزء شاهداً على شواهد

٥ - الحواج : جمع الحاج

٦ — الدواج : جمع الداج

ومن أيمانهم — كما جاء في اللسان — : أما وحواجِّ بيت الله ودواجِّه لأفعلن كذا وكذا .

والداج — كما يقول الأساس — هم الذين يمشون مع الحاج من أجير أو جمال أو نحوهم من دج دجيجاً يعني دب دبيباً ، ومنه الدجاج ، وفي التاج : الداج التباع والجمالون ، والحاج أصحاب النيات[1]

وفي الفائق : رأى ابن عمر قوماً في الحج لهم هيئة أنكرها . فقال : (هؤلاء الداج وليسوا بالحاج) . قالت النهاية : أي هؤلاء لا حج لهم إلا أنهم يسيرون ويدجون :

٧ — الخوارج : جمع الخارج

٨ — البواسل : جمع الباسل[2]

قال التبريزي في شرح بيت الحماسي :

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالأسد حين تذب عن أشبالها

« بواسل ردّه إلى الكتيبة ، وفواعل في صفة الرجال قليل . يقال : فارس وفوارس ، وهالك وهوالك ، وناكس ونواكس ، وخارج وخوارج » ...

* * *

وممن لم يذكروهم (عواذل) دعبل و(لواحي) علي بن الخليل من شعراء الأغاني . يقول الأول في قصيدة رواها أبو علي في (أماليه) :

قال العواذل : أودى المال . قلت لهم :

« ما بين أجر ونخر لي ومحمدة »

أفسدت مالك . قلت : المال يفسدني :

« إذا بخلت به والجود مصلحتي »

ويقول الثاني ، وعنده العواذل واللواحي :

إذا ما كنت شاربها فسرا ودع ترل العواذل واللواحي[3]

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

(١) جمع نية : نيات — لا نوايا — يا كاتبين وخاطبين .

(٢) الفضل في تذكيري بالخوارج والبواسل في بيت الحماسة للشيخين : علي الجارم وراويته حسن علوان .

والفضل في إملاء هذه الجريدة التي حشدت من هذا الجمع الشاذ ما لم يذكره إمام متقدم في كتاب — لناقدي (البواسل) من المصريين : الأمير شكيب أرسلان ، وناقد في « الرسالة »

(٣) جاءت رواية الأغاني سراً ، وقد يكون الأصل جهراً ...

دمعة على الصديق الراحل

فليكس فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

[دمعة على جثمان الصديق الراحل فليكس فارس المسجى بين الورود ألقيت فى الحفل الكنائسى الذى أقيم للصلاة على روحه عصر الأحد ؛ يونيه ١٩٣٩ ببهو الكنيسة المارونية]

هنالك من الناس من تعرفهم فتشعر كأن لك بهم معرفة من قبل . ذلك لأنهم لا يعرفون عن طريق الصلات الزمنية ، وإنما هم يعرفون عن طريق الجو الذى يخلقونه حولهم . وما كان الصديق الراحل فليكس فارس إلا واحداً من هؤلاء : عرفته صيف عام ١٩٣٦ فسرعان ما تآلفنا وتآخينا . ولم يمض القليل من الزمن حتى أصبحنا إلفين لا ينقضى الأسبوع دون أن نتقابل فنتجاذب الحديث فى شأن من شئون الحياة التى نحياها . وكثيراً ما كان يدور هذا الحديث على عوالم الفكر والشعور . وظلت صلتى بالراحل الكريم قوية حتى آخر لحظاته . فقد كنا حوله فى الأيام الأخيرة وهو يجود بأنفاسه الأخيرة . لهذا كان نبأ نعيه لنا معشر أصحابه وخلانه صدمة أليمة . وكان قاسياً علينا أن نراه أمس حيًّا بيننا يملأ جونا بروحه حياة وأنساً ، وإذا به اليوم قد همد فيه عنصر الحياة الذى كان يطوف على شفتيه ابتسامة وعلى شغاف قلبه حنواً وعطفاً ...

إن هول فجيعتنا فى فليكس فارس كبيرة ، جعل الدموع تجمد فى أعيننا فظللنا بسحابة قاتمة أرسلت سوادها على صفحات قلوبنا فغمرتنا موجة من الكآبة ، فإذا لم تظهر على صفحات وجوهنا — نحن معشر خلانه — فداحة المصاب دموعاً ... فذلك لأن مصيبتنا بموت الصديق أقوى من أن يظهرها بكاء أو دموع ...

إيه أيها الراحل الكريم ! ... إن تلك الدموع التى جرت من عينيك وتجمعت فى مآقيك ثم سالت على صفحات وجهك يوم زرتك للمرة الأخيرة ؛ وإن كلماتك التى خرجت من أعماقك مختلطة بنشيجك توصيني خيراً بفلذات كبدك ، كل هذه دخلت فى عالم ذكرياتى ولن تذهب من نفسى ، فلقد دلت كلماتك وعبراتك على أن فى الحياة عنصراً أقوى من كل القيود والسدود التى يقيمها البشر أبناء الحياة الواحدة للتفرقة فيما بينهم ، هذا العنصر يتجلى ساعة يأخذ الإنسان فى الانحدار من عالم الحيـاة ، وساعة يحس بانحسار عنصر الحياة عن جسده ؛ فى ذلك الحين يحس بشعور أقوى من كل إحساس بعوامل التفرقة بين أبناء الحياة الواحدة ، أقوى من الإحساس بالدين والوطن والجنس . وهذا الشعور يدفعه إلى أن يمد نفسه على رحاب الحياة وينسحب عليها متعلقاً بمظهرها الخالد المتأجج ناراً والمتجدد فى أبناء الحياة من جيل إلى جيل ، فيرى فى كل إنسان أباً لأولاده .

إيه يا أبا حبيب ! ... إن آخر الكلمات التى تزودتها منك دارت حول الإيمان والحياة ، وهى كلمات لن تذهب معانيها وصورها من رأسى لأنها تدل على إيمانك العميق بالحياة ، ومن هنا كانت رحابة اعتقادك التى تجوّز أن تكون الحقيقة حتى فى كلام خصمك ... خصمك فى الاعتقاد والرأى ، ومن هنا أيضاً فهمت سرّ اتساع أفق اعتقادك لآراء التى كانت تقف على نقيض آرائك .

إيه يا أبا أديب ! ... لقد فقدتُ بارتحالك شيئاً من نفسى كُنتَ تردّه علىّ حين ألقاك . وفقد أصدقاؤك بارتحالك إنساناً ودوداً براً ... وما أقل الأناسى فى هذا الزمان ! ... أنظر أيها الراحل الكريم من وراء أكفانك تجدنا جمع أصدقائك قد بلبلت أذهاننا فداحة مصابنا فيك . ها هو ذا صديقك « خليل » وأخوه « صدّيق » أ ... هما يبكيان فقدك . وها هو « أدهم » الحبيب إلى نفسك الذى كنت تداعبه باسم « الحكيم » فقد اليوم حكمته ؛ فقد تبلبل منه الذهن واختلطت فى صدره المشاعر . لقد صدم الكل بارتحالك فذرفوا الدموع سخينة من أجلك ...

إيه يا أبا سلوى ! ... لقد كنت باتساع أفق شعورك ورحابة مدى نفسك تغمرنا بروحك وترتفع بنفوسنا وتضرب لنا مثل

وفى التاج : اللواحى : المذال ، والمذال من جموع العاذل .

وفى اللسان : اللواحى : العواذل

وقال الجوهرى فى (صحاحه) : قول الراجز :

لقد علمتُ والأجلُّ الباقى أن لا تردُّ القدرَ الرواقى

كأنه جمع امرأة راقية أو رجلاً راقية بالهاء للمبالغة . أو رجلاً راقياً بغير هاء حتى ينضوى هذا الجمع إلى ذاك الجيش ...

هذه جريدة ما وجدناه ، وقد يكون هنالك ما ذهب علينا ، وهى العربية المتبحبحة[1] فى كلمها ولغاتها . قال الإمام ابن ادريس الشافعى فى رسالته فى أصول الفقه : « لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً . ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي[2] » .

« ... »

(١) تقول العامة : فلان متبحبح يا سيدى فى عيشته . ولفظة القوم — كما ترى — فصيحة صحيحة (٢) غير بالرفع صفة إنسان، وتنصب على الاستثناء

في بلاط الخلفاء

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ علي الجندي

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

كان هشام بن عبد الملك من الخلفاء الذين يُؤثِرون أن يتمتعوا بالطيبات من الرزق، ويظهروا نعمة الله عليهم، ويوفّروا الأبهة والجلال لمقام الخلافة! فلم يكن في آل مروان من كان أسرى منه ثوباً، ولا أعطر رائحة، ولا أكثر زينة، حتى إنه حين خرج حاجاً حُمِلت ثيابه على ستمائة جمل!

فماذا رأى حماد حين دخل إليه؟

رأى داراً قوراء[1] مفروشة بالرخام، تضم مجلساً فرش كذلك بالرخام بين كل رخامتين قضيب من ذهب!

وفي بُهْرة[2] المجلس فوق طِنْفِسة[3] حمراء جلس هشام عليه ثياب من الخزّ الأحمر، وقد تضمّخ بالمسك الأحمّ والعنبر الأشهب! وبين يديه آنية من ذهب فيها مسك مفتوت يقلبه بين يديه فتهيج رائحته في المكان فتفغم الأنوف!

فاستطير عقل حماد، واعتاقت الهيبةُ جنانه، فثقُلت خُطاه وربّما لسانه في فمه! ولكنه استنجد بكل قواه، وسلّم على هشام بالخلافة، فرد عليه السلام واستدناه منه، فدنا حتى قبل رِجْله! ثم نظر بمُؤْخِر عينه فإذا جاريتان كأنما التمستا غِرّة من رضوان، فهبطتا من فراديس الجنان! في أذنيْ كل منهما حَلْقتان تُطِل منهما لؤلؤتان لامعتان يَرِفّ سناهما على تلك الوَجَنات البضّة رفيفَ سقيط الطلّ على أكمام الورود!

فأخذ حماد يُسارقهما النظر وهو مشترَك اللب موزّع الفؤاد! ولكن الخليفة لم يلبث أن هتف به: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟

فاسترجع عازب عقله، وأجاب متلعثما: إني بخير يا أمير المؤمنين

— أتدري لم بعثت إليك؟

— لا يعلم الغيب إلا الله

— بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله

— ما هو يا أمير المؤمنين

— قول القائل:

ودَعوْا بالصَّبُوح[1] يوماً فجاءت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ

— هذا يقوله عَديّ بن زيد العِبادي من قصيدة له

— أنشِدْنيها

فأنشد حماد:

بكَر العاذلون في وَضَح الصُّبح ... يقولون لي: ألا تستفيقُ

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله ... والقلبُ عندكم موثوق

لستُ أدري إذا أكثروا العَذْلَ فيها ... أعَدُوٌّ يلومني أم صديق

زانَها حُسنها وفَرْعٌ[2] عميم ... وأثيثٌ[3] صَلْتُ الجبين أنيق

وثَنايا مُفَلَّجاتٌ عِذابٌ ... لا قِصارٌ تُرى ولا هنّ رُوق[4]

ودَعوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريق

قدّمتْه على عُقار كعين الدِّيك ... صفّى سُلافَها الرّاووق[5]

مُرَّةٌ قبل مَزْجِها فإذا ما ... مُزِجت لذّ طعمُها من يذوق

وطَفَت فوقها فقاقيع كالدُّرّ ... صِغارٌ يُثيرها التصفيق[6]

ثم كان المِزاجُ ماءَ سحابٍ ... لا صَرًى[7] آجنٌ ولا مطروق

فاستخفّ الطرب هشاماً! فصاح بإحدى الجاريتين: اسقيه فسقته شَرْبةً ذهبت بثلث عقله!

(١) واسعة (٢) وسطه (٣) بساط

(١) الصبوح: شرب الغداة، والغبوق شرب العشي، والقيل شرب نصف النهار، والجاشرية حين يطلع الفجر (أدب الكاتب)
(٢) شعر تام (٣) الأثيث: الملتف. وجبين صلت: أملس براق مع الاستواء (٤) طوال (٥) المصفاة (٦) المزج (٧) المتغير

الإنسان كما يجب أن يكون في هذه الحياة. ولو لم يكن لك غير هذا الأثر في نفوسنا معشر أصحابك لكفى أثراً لا تزول ذكراه

أما عن الأثر الأدبي الذي تركته للغتك فأغنيتها بأساليبك الحي وبيانك الرفيع فإنه باقٍ ما بقيت العربية. وأما عن الحياة التي حييتها نموذجاً لأصحابك فإنها باقية ما بقي أصحابك. فارقد في ظلال الأبدية تحت أشجار الأرز الخالد التي كنت تتمنى أن ترقد تحتها أيها الصديق الكريم. ولتنزل على روحك السكينة فإن أصدقاءك الذين تركتهم يبكون فقدانك سوف يؤدون دينهم نحوك وسيقومون بالعمل في الميدان الذي كنت تعمل فيه لتحرير هذا الشرق النائم

اسماعيل أحمد أدهم

ثم قال هشام : أَعِدْ يا حماد ؛ فأعاد الأبيات . فازدهاه السرور حتى نزل عن فراشه ! وصاح بالجارية الأخرى : اسقيه !

فسقته شربة طاحت بثلث عقله الباقي ! فقال في نفسه : إن سقتني الثالثة حقت عليّ الفضيحة !.

ثم التفت إليه هشام قائلاً : سل حاجتك يا حماد . فأجاب : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم .

وهنا نحب أن نقول : إنه كان من عادة الخلفاء والملوك إذا استطاع النديم الظريف أو المسامر البارع أن يحرك فيهم ساكن الطرب ، ويهز كامن الأريحية، أن يعلنوا رضاءهم عنه بالاقتراح عليه أن يسأل ما يشاء ، وهي على كل حال فلتات نادرة يسوقها الحظ لمن أراد الله أن يرزقهم من حيث لا يحتسبون !

ولهذه التمنيات آداب معروفة يعد تجاوزها سفها وحماقة وسوء أدب تلحق أصحابها بالسوقة والأغفال ، فلا يصح لمن واتته هذه الفرصة الغالية أن يتمنى على الخليفة ما يحرج به أو يندم عليه أو يقدح في مروءته ، فإن ذلك جرأة قد يكون من ورائها ردى النفوس واستئصال النعم ولو بعد حين !.

فمن أمثلة ذلك ما حدثوا به : من أن الهادي[1] كان عنده يوماً ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومعاذ بن الطبيب ، فقال : من أطربني منكم اليوم فله حكمه ! فغناه ابن جامع غناء لم يحركه ؛ وكان الموصلي قد فهم غرضه فغناه في هذا الشعر :

سُلَيمى أجمعت بَيْنا   فأين تقولها[2] أينا

فطرب الهادي حتى قام عن مجلسه ! ورفع صوته : أعد بالله وبحياتي . فأعاد . فقال الهادي : أنت صاحبي فاحتكم ! فقال الموصلي : حائط (بستان) عبد الملك بن مروان ، وعينه الخرارة بالمدينة ! فغضب الهادي حتى اتقدت عيناه ! وقال : يا ابن اللخناء أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني وأني حكمتك فأقطعتك ! أما والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك وفكرك ، لضربت الذي فيه عيناك ! وعبرت فترة قال فيها الموصلي : لقد رأيت ملك الموت قائماً بيني وبينه ينتظر أمره !

ولما سكت عنه الغضب دعا بالقيم على خزائن الأموال ، فقال : خذ بيد هذا الجاهل ودعه يأخذ ما يشاء ! فلما بلغ بيت المال قال له القيم : كم تأخذ ؟ قال : مئة بدرة[3] ! قال : حتى أؤامره . قال :

(١) الطبري — ج ٣ — ص ٢٩٥ — تاج ٣٦

(٢) يعني تظنها معنى وعملا

(٣) البدرة في الأصل : جلد السخلة يوضع فيه المال ثم أطلقت على المال =

تسعين . قال : حتى أؤامره . قال : ثمانين . قال : لا . فعرف إبراهيم غرضه . فقال : آخذ سبعين ، ولك ثلاثون ! قال : شأنك[1] . قال الموصلي : فانصرفت بسبعمائة ألف درهم وانصرف ملك الموت عن الدار !

ومن ذلك أيضاً : أن دحمان[2] المغني غنى الرشيد يوماً :

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامنا   كفى لمطايانا بِرؤياكِ هاديا
ذكرتكِ بالدَّيرين يوماً فأشرفت   بناتُ الحشا حتى بلغن التراقيا
إذا ما طواكِ الدهر يا أمّ مالك   فشأن المنايا القاضيات وشانيا

فطرب الرشيد طرباً شديداً واستعاده مرات ! ثم قال له : تمنَّ عليّ . فقال : الهنيء والمريء ، وهما ضيعتان تغلان أربعين ألف دينار في السنة . ولم تكن للرشيد شراسة الهادي[3] وشكاسة خلقه وضيق صدره ، فأمر له بهما على كره منه !

فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إن هاتين الضيعتين من جلالهما ما يجب ألا يسمح بمثلهما ! فقال : لا سبيل إلى استرداد ما أعطيت . فاحتالوا في شرائهما منه بمئة ألف دينار ! فأمر الرشيد له بها . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إخراج مئة ألف دينار من بيت المال طعن . فدفعوها له منجمة خمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها

ونعود إلى حماد فنقول : لقد فتح له هشام باب التمني على مصراعيه فهل يقع في السفه والجهل ؟

لقد كان الرجل زنديقاً ، والزنادقة في هذا العصر كانوا مضرب المثل في الظرف حتى كان الرجل يتعمل الزندقة ليوسم بهذه السمة المستملحة !

ثم هو بعد ذلك يعرف جيداً أنه لم يأت خليفة مثل هشام الأموي والمنصور العباسي في ضبط المال وحسن القيام عليه والضن به إلا في حقه . بل لعله لا يجهل أن هشاماً رمي بالبخل الشديد إن صدقاً وإن كذباً ، وأنه كان أبغض الأشياء إلى نفسه أن يبتدئه إنسان بمسألة ، فمن فعل ذلك فأدنى جزائه الحرمان !

أترى أيستطيع الظرف أن يعصم حماداً من الانزلاق إلى الطاعية المردية ؟

لم تخنا فراستنا في الرجل ! فالحق أنه كان مهذباً وكان قنوعاً

= تجوزاً والمستفاد من كتب اللغة أنها كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار ، ورواية الجاحظ تدل على أن مقدارها زمن العباسيين عشرة آلاف درهم (تحقيق المرحوم زكي باشا)

(١) تدل هذه الحكاية على خيانة القوام على الخزائن ومقاسمتهم صلات الأدباء.

(٢) مستطرف : ٢ — ١٥٢

(٣) تاج : ٣٥

(٤) خزانة : ١ — ١٥٦

لقد رفع رأسه إلى الخليفة وعلى فه ابتسامة حيية حائرة فقال: إحدى الجاريتين يا أمير المؤمنين

وكأنّ هشاماً أعجب بهذه القناعة التى لا تنتظر فى مثل هذه المواقف ! ولعله أعجب أكثر بهذا الذوق الرقيق الذى شاء أن يمنحه نصيباً من هذا الجمال الفريد !

فضحك وقال : هما جميعاً لك يا حماد بما لهما وما عليهما !

وأراد أن يتوّج ذلك بعطفه عليه ورضائه عنه ! فهتف بالجارية الأولى : أن اسقيه ! فمشت إليه الجارية بكأس دهاق ، وعيناها الساجيتان تفعل بنفسه ما لا تفعل الخمر والسحر ! فطار ما كان باقياً من عقله ، وخر لليدين وللفم صريع الكأس والأعين النُّجل

وحُمل ـ وهو ما يَبِتُّ(١) سكراً ـ إلى دار أعدت له . فلما تنفس الصبح أفاق من غشيته الطويلة ! فإذا الجاريتان عند رأسه تمسحانه وتروّحانه ، فيصافح وجهه النسيم الرطب مشوباً بأنفاس الغالية والملاب !

وإذا عدة من الخدم يحمل كل واحد منهم بَدْرة وهم وقوف ينتظرون صَحْوته من خُماره !

فتقدم أكبرهم فى أدب واحتشام فقال : أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ يقرأ عليك السلام ! ويقول لك : خذ هذه البِدَر فأصلح بها شأنك

فبالغ حماد فى الدعاء ! واستنفد الوُسْعَ فى الثناء ! ثم قفل راجعاً إلى بلده بثلاث غنائم : بالأمان والجمال والمال ! وقد أدركته المنية سنة خمس وخمسين ومئة ، فرثاه ابن كناسة الشاعر يقول :

لو كان يُنجى من الرّدى حذَرٌ نجّاك مما أصابك الحــذرُ
يَرْحمُك الله من أخى ثقة لم يك فى صفو ودّه كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم (م) فيــه ويدرُس الأثر

على الجندى

(١) لا يجزم

ضرب من الفروسية في اليابان

للأستاذ صلاح الدين المنجد

يجد الباحث فى فروسة اليابان وتقاليدها أقانين لذيذة تفيض بالبطولة والنبل والإباء ، تهز المرء حتى ليحسب أنها من عمل الخيال الرائع والتصوير البارع والوصف الجميل . فإذا تأملتها علمت بأن اليابانيين قوم قدسوا الشرف فى مغالاة ومقتوا الذل بأنفة ، ولم يصبروا على ضيم يراد بهم أو هون يساق إليهم . وحسبك أن تعلم بأن الفروسة عندهم معناها الشرف والذود عنه والموت فى سبيل بقائه طاهراً ، ودفع كل ما يشين المرء ويعيبه ؛ فلضربة بسيف فى عز خير عندهم من لطمة أو شتيمة فى ذل . فإذا طعن اليابانى فى شرفه ، فلديه أمران لا مَدْفع لهما : قتل من أهانه ، أو قتل نفسه

ولعل أروع مثال لذلك أمر القائد العظيم « نوجى » الذى كان له — كما يقولون — روغان الثعلب وختل الذئب ووثبة الأسد ، والذى أوتى النصر فى موقعة « بور — آرثر » على الروسيين ففض حرمتهم وأوهن بأسهم وظهر عليهم ، فأدهش الغرب ورجاله ، وملك على فتيان اليابان قلوبهم ، والذى يسمونه « بصاحب الربع ساعة » لقوله : « الحرب صبر ربع ساعة »

وقصة هذا القائد طريفة غريبة فيها بطولة وشمم ، وفيها إباء وشجاعة ، فلقد استيقظت اليابان ذات يوم على تذراف الدموع وتصعيد الزفرات ، وقد وجم الناس وانتشر الأسى وأعلن الحداد لموت ابن الآلهة الميكادو « موتزو ـ هيتو » الذى دفع باليابان الحديثة إلى ذروة المجد وجعلها أمة ذات بأس وقوة ، يخشاها الغرب ويفرق منها . وبينا الناس فى حزنهم غارقون ، فوجئوا بنبأ آخر كان على الشباب والجنود أشد هولاً . فلقد أعلنت الصحف أن الجنرال « نوجى » منقذ اليابان من الروسيا قد قتل نفسه . . فطفق الناس يسأل بعضهم بعضاً عن سر انتحاره ، وهو ازدهار مجده وتألق سعده ، وحسبوا يومئذ أن ذلك كان حزناً على الميكادو

على أن بعضهم ما زالوا يتسقطون أسراره ويستطلعون أخباره حتى علموا بأن « نوجى » كان فى ماضيات أيامه تلميذاً فى مدرسة حربية ، فكلمه أستاذ له ذات يوم بما يهينه ويشينه ... وما هى إلا ساعات حتى عزم على قتل نفسه ليتقى العار وسوء المقالة ، لأن نظم المدرسة تمنع الانتقام من أساتيذها ، وكان له صديق من العائلة المالكة ، أخلص له وأحله من نفسه محلاً رفيعاً ، فأخبره بما عزم عليه وطلب منه أن يشهد الانتحار

وللانتحار فى اليابان طرائق وتقاليد . فالرجل الذى يريد قتل نفسه يطعن صدره إلى جانب القلب بخنجر حاد ، فإذا تدفق الدم تقدّم منه صديق مخلص له ممن أوتوا النبل والشرف ، فيضرب عنقه أمام المذبح بين روائح البخور الشذىّ

وطلب « نوجى » من الأمير أن يضرب عنقه إذا طعن صدره ؛ وكان الأمير ذا شأن وسلطان فمنعه عن الانتحار . وكان مما حدّثه به يومئذ : « عش لليابان يا صديقى ... فما ينبغى لك أن تقتل نفسك ووطننا بائس يعوزه الشباب . لقد أهنت وعليك أن تموت ، ولكنى أقبل الإهانة ، أنا الأمير ابن الآلهة ، لنفسى وما عليك بعد ذلك . ابق يا صديقى وعش لليابان ! »

وصدع نوجى بالأمر . وتصرمت أعوام فأضحى الأمير امبراطوراً وأصبح « نوجى » أعظم قائد عرفته اليابان الفتاة ، فيشتهر بالمغامرة والبطولة ويذيع صيته ويتردد على الأفواه اسمه وتستفيض شهرته ويدحر جيوش الروسيا ويكسب المعارك ويصبح المثل الأعلى للفتيان

وظلت الإهانة عالقة بالامبراطور طوال حياته ... ولا بأس عليه منها وهو ابن الآلهة التى تغفر لمن تشاء ، وتعذب من تشاء وترضى عمن تشاء ، فلما قضى الميكادو نحبه عادت الإهانة إلى « نوجى » فلم يطق العيش ذليلاً ... فأمر أن تشعل الشموع ، وأن يحرق البخور ، وجثا تحت قدمى الإله ، وأغمد الخنجر فى قلبه على مهل ، فتدفق دمه الفوار ... وتقدم صديق له فضرب عنقه ، وهو يبسم راضياً مطمئناً ؛ فقد أنقذ الشرف ، وابتعد عن العار .

ومات « نوجى » بعد أن تخطى الستين من العمر ، رضى البال مثلوج الفؤاد لأن ذلك أدعى لطيب الذكر ، وخلود الاسم

صلاح الدين المنجد

من تاريخنا السياسي

عائشة والسياسة

الأستاذ سعيد الأفغاني

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

ولا يقعن في وهم أحد أن السيدة عائشة كانت تود أن يقتل عثمان ، فالصحيح أنها لم تكن تتوقع كل هذا . ولعلها كانت تقنع باعتزاله ، على رغم تصريح الكثيرين بأنها سعت في قتله . ومن هؤلاء المغيرة بن شعبة ، فإنه دخل على عائشة بعد حادثة الجمل فقالت له : « يا أبا عبد الله ، لو رأيتني يوم الجمل قد أنفذت النصل هودجي حتى وصل بعضها إلى جلدي . » قال لها المغيرة : « وددت والله أن بعضها كان قتلك . » قالت : « يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ » قال : « لعلها تكون كفارة لك في سعيك على عثمان . » قالت : « أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أني أريد قتله . ولكن علم الله أني أردت أن يقاتل فقوتلت (تعرض بما وقع لها يوم الجمل) وأردت أن يرمي فرميت ، وأردت أن يعصي فعصيت ؛ ولو علم مني أني أردت قتله لقتلت . »

وهي الصادقة فيما قالت ، ولعل الله أن يرضى عنها ويرضى خصومها بما ندمت وكفّرت . ولئن قال سعد بن أبي وقاص وقد سئل من قتل عثمان ؟ — : قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة وسمه عليّ » ، فما كان يريد سعد بقولته هذه إلا بيان الأثر غير المباشر لكل منهم ؛ فإن من تتبع مجرى الحوادث بإمعان علم بعد الجميع عن هذه القتلة

وليس أدلّ على ترفع السيدة عن مثل هذه الخواطر من دعوتها على قتلة عثمان ، الدعوات البليغة الصادرة عن نفس متأثرة ملتاعة (واعلم أن في القتلة أخاها محمداً) قالت : « قتل الله مذمّماً (تعني أخاها) بسعيه على عثمان ، وأهرق دم ابن بديل على ضلالته ، وساق إلى أعين بن تميم هواناً في بيته ، ورمى الأشتر بسهم من سهامه » فما منهم من أحد إلا أدركته — على رواية الطبري وابن عبد ربه — دعوة عائشة

وذكر صاحب العقد أنها لما قالت بعد مقتل عثمان : « مصصتموه موص الإناء (الموص : الغسل اللين) حتى إذا تركتموه كالثوب الرحيض (الغسيل) نقياً من الدنس ، عدوتم عليه فقتلتموه » . قال لها مروان : « هذا عملك ؛ كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » . فقالت : « والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبت إليهم بسواد على بياض حتى جلست في مجلسي هذا[1] » فكانوا يرون أنه كتب على لسان عليّ وعلى لسانها كما كتب على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر . فكان اختلاق هذه الكتب كلها سبباً كبيراً من أسباب الفتنة

وغاية ما يؤخذ عليها عدا أقوالها السابقة الشديدة في عثمان أنها تركته (حين بلغ الحزام الطُّبْيَيْن ، وحين طمع فيه من لا يدفع عن نفسه) — كما وصف هو نفسه[2] — في أشد الحصار وأحر الظمأ وخلصت إلى مكة . وقد كان راسلها عثمان في أمرها وطلب نجدتها وجاءها مروان بن الحكم فقال : « يا أم المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل » . فقالت : « أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة ثم لا أجد من يمنعني ؟ لا والله ولا أعيّر ، ولا أدري : إلام يسلم أمر هؤلاء ؟ »

كان طلب مروان في محله ، وكان مقامها — لو هي أقامت — ربما نفع ورد عن عثمان ، ولكنها استسلمت رحمها الله لوجدتها ، واكتفت أن استتبعت أخاها محمداً أكبر المحرضين على عثمان فأبى

لقد وضح من كل ما تقدم أن أثرها لم يكن ضئيلاً في الحوادث التي انتهت بشهادة عثمان : هذه الفاجعة المشؤومة ، بل كان بعيداً بليغاً . وليتها وقفت عند هذا الحد فلم تؤلب الناس على عليّ وتنغص عليه ولايته . فإن طلحة والزبير لما آلت الخلافة إلى عليّ — وكانا يرجوانها كل لنفسه — وعقدا النية على المطالبة بدم عثمان وتسليم قتلته الذين انضموا إلى جند علي ، وهماً بما هما به ؛ رأيا أن أمرهما لا يتم إلا بالسيدة عائشة فكانت فتنة ثانية أشأم على المسلمين من سابقتها

طالبت عائشة بدم عثمان واندفعت في هذه السبيل — على رغم تحذير المحذرين ، ونصح أمهات المؤمنين — اندفاع الأتيّ الجارف ، حتى جمعت الجموع وأحاط بها كل طامع وكل ذي ثأر من أصحاب علي وكل كاره لعلي وخلافته ، مع آخرين خرجوا معها عن عقيدة بريئة مغيرين منكراً أو مطالبين بإقامة الحدود . ثم خرجت بهذه الجماهير من الحجاز حتى وافت بها العراق . فلم يكن من محيص دون القتال ، ومؤرثوا الشر منتشرون في جماعتها وجماعة علي ، فكان ما كان مما لا نتعرض له في هذه الكلمة لأن أمره مشهور معروف . وسميت هذه الحرب حرب الجمل لأن عائشة كانت فيها في هودج على جمل ؛ وانقشعت هذه النكبة المؤلمة عن عشرة آلاف قتلوا على أقل تقدير .

(١) ٣ : ٨٤ (٢) زهر الآداب ١ : ٧٥

رحم الله عائشة ، لقد كانت المرأة الوحيدة فى التاريخ التى قوضت مركز خليفة وحاولت نصب خليفة ، وأعلنت حرباً وقادت جموعاً ثم أرادت تحاشى القتال ؛ فخرج الأمر من يدها إلى يد غوغائها شأنها فى ذلك شأن على رضى الله عنه ، فكان ما ترتعد له فرائص كل مسلم ، كلما ذكر فتنة الجمل وما استتبعت من ويلات .

فلنطو أمر هذه الحرب ، ولنذكر أن عائشة نفسها صارت كلما ذكرتها بكت حتى تبل ثيابها ندماً وتوبة . ولننظر كيف كان معاوية الداهية الحليم يداريها ويخشى بأسها

بقى الناس ينظرون إلى السيدة عائشة وسائر أمهات المؤمنين نظرهم إلى الموئل الذى يسعهم كلما نزلت بهم نازلة . هذا إلى نظرة التقديس والإجلال التى كانت تزداد كلما امتد الزمن وبعد عهد الناس بزمن الرسول . فكانوا — زيادة على قصدهن للتعلم والاستفادة — يشكون إليهن ما يلقون من عنت الأمراء وحيف الحكام ، وكن يتوسطن لهم بما لهن من النفوذ والطاعة على جميع المسلمين : الخلفاء فمن دونهم . سألها رجل كتاباً توصى به زياداً فى العراق ، فلما قرأه زياد قضى حاجة الرجل وأكرمه ، وكان أهم ما دفعه إلى التلبية أنها نسبته فيه إلى أبى سفيان ، فجعل زياد يعرض الكتاب على كل زائر مزهواً به فرحاً . وقد حسب لها معاوية أكبر الحساب فجعل يداريها ويلاطفها ويكتب إليها يسألها مرة عن حديث ، ومرة طالباً موعظة وما به من حاجة إلى سؤال ولا طلب ، وكان جانبها أعظم ما يخشاه . أحرق قائده معاوية بن خديج جثة أخيها محمد فى مصر ؛ فبلغها فجزعت أشد الجزع ، وصارت تقنت على معاوية وعمرو بن العاص دبر كل صلاة[1] ولما أراد معاوية البيعة ليزيد كان صوت أخيها عبد الرحمن أقوى صوت ارتفع بالمعارضة فجبه والى معاوية على المدينة مروان بن الحكم بقوله الصادع : « جئتم بها هرقلية كسروية كلما مات كسرى قام كسرى[2] » ولما نال مروان من أخيها بالكلام لقى من السيدة ما لم يكن فى حسبانه حتى تذلل لها وخاف بأسها ثم تكفل دهاء معاوية بالباقى حتى غاب صوت الحق فى إنكار هذه البدعة التى ابتدعها معاوية فى أصول الحكم . ولم تنتح السيدة عن معالجة الشؤون العامة ، ولولا أن يوم الجمل هد منها ومن قوة نفسها

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٦٠

(٢) أنظر ر[illegible] (الاجابة للزركشى) ص ١٤١ طبع [illegible] والطبرى

لرأينا لها فى عهد معاوية صولات وجولات ومع هذا فإليك مثلاً حادثة حجر بن عدى :

كان حجر من سادات أهل العراق ذوى السطوة والمكانة ، ممن كانوا مع على وبقوا على عهده بعد مماته ، وقد تحدى سلطة الخلافة مراراً عديدة ، وعبث بالأمراء الذين يرسلهم معاوية حتى ضاق به وبرهطه ذرعاً ، فأمر بحمل حجر وأصحابه ، ثم أشهد عليهم وقتلهم ، بعد أن كثر الوسطاء فى أمره نظراً لمكانته ، ولكن ذلك لم يشف ما فى نفس معاوية من الغيظ ، وكانت عائشة أرسلت رسولاً إلى معاوية فى ذلك ، ولما وصل الرسول كان حجر قد قتل ، فقال الرسول — وهو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — لمعاوية : « أين غاب عنك حلم أبى سفيان ؟ » قال معاوية : « حين غاب عنى مثلك من حلماء قومى ، وحملنى ابن سمية (يعنى زياداً عامله) فاحتملت » وبلغ عائشة الخبر فحزنت أشد الحزن ، وليس مثلها من يسكت لمعاوية ، ولكن نكبة الجمل زعزعت عزائمها فصارت تخاف أن يجر الأمر إلى فتنة تراق فيها الدماء وهو ما لا تستطيع أن تتصوره ، وقد أشارت إلى ذلك حين قالت : « لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر . أما والله إن كان — ما علمت — لمسلماً حجاجاً معتمراً[1] »

ولما حج معاوية استأذن على عائشة فأذنت له ، فلما قعد قالت : « يا معاوية ، كيف أمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟ » قال : داهية الامويين « بيت الأمن دخلت ! » قالت : « يامعاوية ، أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه ! » قال : « لست أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم . »[2]

وهكذا نال الخليفة العظيم ما يستحق من التأنيب فى حجرة الرسول على لسان زوجه أم المؤمنين

هذه هى المرأة فى صدر تاريخنا المجيد ولكم هو مقامها ، فلننتفع بسيرتها ولنأخذ لزماننا من كل شىء أحسنه . أما عبرة هذه الحوادث : فهى أن المرأة لم تخلق قط لتدس أنفها فى الخلافات السياسية . وكأن الله الذى جعل النساء لتربية الرجال وتدبير البيوت أراد أن يعظ المسلمين عظة عملية كلفتهم كل تلك الدماء

(١) الطبرى والأغانى (٢) الطبرى والأغانى

المراقة ؛ ليعلموا : أن لو كان أمر من أمور الرجال يقوم بامرأة لقام بهذه السيدة الحصيفة التي أوتيت من المواهب والذكاء والعلم والصلاح ما لم يؤته رجال كثيرون . وبقيت حرب الجمل مناراً في تاريخ المسلمين كلما نزغ بهم من الشيطان نزغ فهموا أن يخرجوا بالمرأة عما خلق لها وخلقت له ، قالوا لأنفسهم : أخفقت هذه التجربة في أول تاريخنا فما بنا من حاجة إلى أن نهرق في سبيلها دماء جديدة ؛ وسن لنا مع هذا يمثل السيدة عائشة

(دمشق) صبحي الأفغاني

تلك سبأ !(*)

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

هناك نحو الشرق من صنعاء عاصمة اليمن ، على بعد خمسة أيام فوق متون المطايا ؛ تمتد منطقة واسعة الأطراف ، مترامية الأكناف ، عامرة بأسرار تاريخ ، وفيرة بخبيئة ماض بعيد ، يجد فيها عالم الآثار مادة خصبة ومجالاً واسعاً فسيحاً لاختباراته وأبحاثه في تلك البقعة الساحرة المسحورة التي فاضت عليها أنفاس الرياح الغرائب فطمرت معالمها ، وأخفت ماشخص منها ، ونسجت عليها أثواباً رقيقة شفافة من الطمى الأملس ، تلبد في ذمة التاريخ وتحت أنقاض العصور خرائب سبأ ، مدينة الملكة العظيمة بلقيس عروسة سليمان ابن داود ...

هذه بقاع منسية في جزء مهم من بلاد العرب ، لعبت أدواراً خطيرة في مجال التاريخ القديم ؛ تدل الآثار الضئيلة التي قذفتها هذه الأراضي الضنينة التي جاءت من قبيل الصدف بأن ما تحويه في أحشائها يفوق الوصف ، ويثير التاريخ !

ومعلوماتنا عن هذه البلاد السبئية ضئيلة ؛ فبالرغم من كثرة الرواد الذين اجتاحوا هذه البلاد فإن خطراتهم بين خرائبها كانت سريعة خاطفة ، فلم يعرف عنها إلا أشياء مقتضبة مشوهة لا تقوم على إسناد على ركن إليه الباحث ، وتطمئن له نفس المنقب ؛ وهذا عائد إلى طبيعة الأرض وجفوة سكانها وقساوتهم ضد الأجنبي ... وما عرفنا أحداً تغلغل في صميم هذه البقاع سوى ثلاثة من الأوربيين أتاحت لهم الظروف الوصول إلى قلب مدينة سبأ فجمعوا كتابات كثيرة جداً منقوشة على الصخر الأصم !

هؤلاء الأشخاص هم أرنود Arnaud (١٨٤٣) وهاليفي Halevy (١٨٦٠) ثم غلازر Glaser (١٨٨٨) . وبعد هؤلاء الباحثين لم يتقدم أحد من الأوربيين مطلقاً . فبقيت أرض سبأ إلى هذه الساعة محتفظة بأسرارها الرهيبة الهائلة ...

هناك في الناحية الغربية من مدينة بلقيس ؛ بنى السبئيون في أحد الأودية العظيمة سداً عظيماً ، متين البنيان ، وطيد الأركان ، مشمخر الأنف ، تتجمع فيه أمواه السيول المنحدرة من أعالي الجبال فتسقي الأرض ، وتحيي الضرع ؛ حتى غدت هذه البلاد مثلاً سائراً في خصوبة الأرض ؛ وكرم التربة !

أما أبرز المظاهر الاقتصادية التي كان يتداولها سكان هذه البلاد مع الأمم التي تناوحهم فهي تلك الأعواد العطرية الفواحة ، والنباتات الكريمة التي تتفوغ بها أوديتها العميقة وشمابها المشجرة المعطرة وبناؤهم في غاية الفخامة والجلال ؛ قصور شاهقة ، وبناء محكم ، وحيطان وسقف مموهة بالأحجار الكريمة ، مرصعة بالعاج ؛ وآنيتهم من الذهب والفضة الخالصين !...

ولكن السبئيين كانوا يعبدون الشمس[1] والقمر والوعل[2] والعجل[3] ؛ ولهم معابد فخمة واسعة منتشرة في كل الأنحاء ؛ ثم لما بطروا بأنعم الله عاقبهم الله بانهيار السد ، فغشى المدينة من الماء الجارف ما غشيها فجعل عاليها سافلها ، وأهلك سكانها وأباد ضرعها وزرعها فكانت مثلاً

ويعد انهيار السد حدثاً عظيماً في تاريخ الشعب العربي ؛ ذكره (القرآن الكريم) في جملة ما ذكر من القصص ؛ ومع كل هذه الحقائق التاريخية الثابتة أصلاً فإنها لم تؤثر في تفكير

(*) فصل من كتاب « أسرار حياة بلاد العرب السعيدة » الذي كتبنا منه في عددي ٣٠٩ ، ٣١١ من الرسالة وقد لخصنا هذا الفصل بتصرف .

(١) في القرآن حكاية من لسان الهدهد « اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله الخ »

(٢) هذا الحيوان لا شك أن له أثراً عظيما في تاريخ تلك البلاد فقد جاء رسمه في بعض النقوش ؛ وصوره لا تزال محفورة في جبال حضرموت الصخرية لليوم . ويوجد بكثرة في جبال حضرموت وهو قنيص الحضارمة الوحيد !

(٣) ويجب أن نشير هنا إلى أن العجل « أبيس » معبود المصريين القدامى قد ورد ذكره في أحد النقوش الحجرية التي نشرها الأستاذ مرغليوث الانجليزي « المؤلف »

اليمنيين وتغير مجرى اعتقادهم في أن يعيدوا إلى الوجود وإلى ضوء الشمس آثار ذلك الماضي اللماع المجسّم في خرائب هذه المدينة ذات الجلال والإبداع ، ولم يفكروا مطلقاً في استنطاق هذه الألواح الصخرية المنقوش عليها حرف « المسند » ليعرفوا حقيقة الماضي البعيد

أما علماء الآثار الذين مكنتهم الظروف فاخترقوا هذه الآفاق واستهدفوا لضروب من المتاعب والأخطار ، فما استطاعوا أن يقدموا لنا عن هذه البلاد إلا معلومات ضئيلة لا تشفي غلة الباحث الصادي

نعم ، إن إدوار غلازر نجح في مهمته ، وتنكر في شخصية مسلم واستطاع إبان وجوده بصنعاء أن يتفق مع أحد أشراف مأرب ليكون له قائداً ودليلاً إلى حيث السد

فمن صنعاء أخذ الاثنان طريقهما في واد عميق يقع بين ذرى بلاد نِهْم وخولان[1] ؛ ثم انحدرا إلى وادي شبوان فأخذا طريقهما إلى خرائب السد ومن هنا تابعا سيرهما في ثلاث ساعات إلى مركز الحضارة السبئية : مدينة بلقيس !

وترامت أخبارهما بين القبائل المتعصبة المتحمسة فعقدوا العزم على ذبحه وذبح دليله . ولكن غلازر درى بحقيقة الأمر فاحتاط لنفسه كثيراً فكان يقوم ليلاً ويختفي نهاراً ... ولما انتهى من أبحاثه وهم بالرجوع هاجمته جماعة من البدو المسلحين ولكنه نجا بأعجوبة !

وبالرغم من هذه المتاعب الكثيرة التي صادفت هذا المغامر ، وبالرغم من افتقاره للآلات العلمية المتممة لأبحاثه فقد نجح هذا العالم الأسْتَرْيِي[2] في طرق اختباراته فجمع ما يناهز ٨٥٠ نقشاً حِمْيرياً وبان لعلماء الآثار أن هذه المنطقة ، من أرض سبأ ، غنية بآثارها عميقة في أسرارها !

أما الإمام يحيى فقد توعد بالعقاب الصارم كل من تحدثه نفسه ببيع هذه الحفريات للأجانب ؛ كما أنه أقفل أبواب سبأ في وجوههم ولكن أحد[3] هؤلاء المجازفين حاول الوصول إلى مأرب من حضرموت فاكتشف أمره وقبض عليه ، ودفع إلى ما وراء الحدود!

ودفعت المغامرة غيره في وقت قريب ، فوصل هذه الأرجاء فعثر على شظايا أثرية، وتماثيل عجيبة لدى جماعات من البدو فابتاعها منهم وشحن منها صناديق ...

وكل من لاقيته في هذه البلاد وسألته عن أسباب هذه المتاعب الجسيمة التي يلاقيها الرحالة في أرض سبأ راح يشرح لي أسباباً كثيرة ، وأموراً غريبة !



(ش ١) رأس آدمي من البرنز

أخبرني أحد العلماء قال : « هناك في أرض سبأ تعيش قبائل مخيفة من البدو لا يعلمون عن العالم شيئاً ، بل يجهلون كل الجهل من حولهم ؛ يعبدون الله ولكن على صورة تخالف ما عندنا ، ويأكلون اللحم النيء ؛ وفي قبائلهم تعيش جماعات من النبلاء والأشراف يستبدون بالضعيف ، ويسخرونه في حرث الأرض ، والدفاع عن الحوزة ؛ لهذا ترى من الحكمة ، وسداد الرأي ، أن الإمام مصيب في منعه الأجانب من دخول هذه الأقاليم الرهيبة التي لا تعرف من سلطة الإمام إلا القليل ... »

وتشرفت بالمثول بين يدي الإمام ، وبما أنه معروف عن جلالته الطبع السمح . والخلق اللين ؛ فقد بادهته بهذا السؤال :

(١) من قبائل اليمن

(٢) نسبة إلى أوستريا في قلب أوربا

(٣) هو السائح الجرمني هانس فون هلفرتس وقد أصدر مؤلفين عن حضرموت باللغة الألمانية

— هل يأذن لى صاحب الجلالة فى زيارة بلاد سبأ ؟

ولشد ما كانت دهشتى عظيمة عند ما رأيت ابن حميد الدين يستوى فى جلسته ثم يصيح بى قائلاً :

— سبأ ؟ أرى أن مشاهدتك واستكشافك هنا خير وأولى ! أمكث فى صنعاء إلى ما تشاء! وإذا لم يعجبك هذا فدونك ما حوالينا من القرى الجميلة ، والأودية النضرة ، فانهب من الجمال ما شئت واملأ ناظريك من محاسن الطبيعة اليمنية !

— ولكن يا مولاى ، أريد سبأ ، فهل تتركنى أذهب إليها ؟

— لا ! إن سبأ بعيدة المنال ، صعبة الوصول ، فأنا لم أرها منذ سنين، وزيادة على ذلك فما هناك طريق واضح؛ فهل من المعقول أن أتركك تذهب حيث لا طريق معبد ؟ أنا أريد أن أراها ولكن لا سبيل إلى الوصول إليها... هناك حتى يومنا هذا لا يزال جزء عظيم من بقايا السد قائماً فى شكل يثير الإعجاب ! تصور جيداً أنه شيد كله من الصخر الأصم ؛ وهذه الصخور تتألف من ثلاثة ألوان : خضراء وحمراء وشهلاء ... وعلى مقربة من السد تقوم نقرة عظيمة حفرت جداول توزع منها المياه إلى الحقول والبساتين التى جمع منها السبئيون كل غنائم وجاههم !

— والمدينة يا مولاى ؟

— حطمها السدّ وغزتها المياه من كل جانب فغمرتها رواسب كثيرة شفافة ، وما زالت أطرافها شاخصة فى عظمة واستكبار ... فهناك على مساحة عظيمة تطفو على وجه الأرض أعمدة وأحجار ؛ وأجل هذه الآثار شخوصاً « عرش بلقيس » ذلك المعبد العظيم الذى شيده سليمان لملكة سبأ ... واليوم عزمت على تعبيد الطريق من صنعاء إلى مأرب فتخترقها السيارات بسهولة!

* * *

إن الآثار المدهشة التى تكشفت عنها بلاد العرب الجنوبية تراها اليوم موزعة بين متاحف أوربا ؛ وليس لها أثر كبير فى بلاد اليمن اللهم إلا أشياء ضئيلة فى متحف صنعاء مجموعة فى نظام يستدر الشفقة ، ويبعث الحسرة !

ففى متحف ترمى Terme بروما يمكنك أن تتمتع بمشاهدة آثار سبأ وحمير وسائر ممالك اليمن القديمة ...

فهناك نقوش كثيرة وقطع من الفن الهندسى الرائع ، وتماثيل ضخمة منحوتة من الصخر جمعها الدكتور أنسالدى[1] أثناء رحلته إلى بلاد اليمن أخيراً واستطاع أن يأخذها إلى إيطاليا بموافقة الإمام !

أما المتحف الذى أنشأه الإمام يحيى فى العاصمة اليمنية فهو عبارة عن (غرفة !) من قصر خصّص لنزول البعثات الأجنبية تتكدّس فى هذه الغرفة آثار اليمن القديمة !



(ش ٢) تمثال بطل عارى الجسم

ولما كانت هذه الغرفة محرومة من المساند والمناضد فقد طرحت أرضاً هذه النقوش والقطع الأثرية ؛ وبعضها مرصوص على جوانب الجدران ؛ والجزء الأعظم من الآثار الصغيرة محشوّ فى أجواف صناديق النفط ...

(١) هو الدكتور قيصر أنسالدى ساح فى اليمن قبل السنيور آبونتى وله كتاب (اليمن : فى الخرافة والتاريخ) باللغة الإيطالية . وقد أخذنا منه الصورتين المنشورتين فى هذا العدد .

والزائر الذى يأتى لمشاهدة هذه الآثار لا يسمح له بدخول هذه الغرفة بل يقوم الحارس بعرض بضاعته من الداخل فيطرحها على أرض الشباك بحيث يتمكن الزائر من المشاهدة والملاحظة وهو فى الخارج ؛ وفى أغلب الأحيان تَمْلُص من يدى الحارس بعض التماثيل فتهوى إلى الأرض محطّمة ؛ وفى جلافة وعدم مبالاة ، يركلها برجليه إلى إحدى الزوايا !

إن الله وحده الذى يعرف كم تحوى هذه البقاع اليمنية من الآثار والتماثيل ذات الجلال والسموّ . وما ذلك الفن السامى الذى ازدهر فى هذه الربوع المتمثل فى هذه الخرائب الأبدية وفى هذه التماثيل المديدة للنساء والرجال المفرغة فى المرمر الحرّ والرخام المجزع ، إلا صورة حية ناطقة لذلك الفن الرفيع العريق فى هذه البلاد منذ أقدم العصور! يدلنا على هذا كله وجود تمثالين فى متحف صنعاء بلغا حد الاتقان والإبداع .

أولهما (ش ١) يمثل رأساً[1] من البرنز لشاب أو شابة من أبناء تلك البلاد على وضع فنى جميل يشبه إلى حد ما أحسن التماثيل الإغريقية القديمة ، وقد وجد فى غيمان[1]

والثانى (ش ٢) تمثال عظيم مصوغ من البرنز وجد فى خرائب النخلة[2] الحمراء يمثل بطلاً عارياً منسجم الأعضاء جليل الصورة . ومما يدعو للأسف أن العمال الأغرار أثناء الحفر تناولوه بالتهشيم فذهب شيء كثير من روعته ، ولكن الآن لحسن الحظ أعيدت صورته الأولى ، وأجبرت كسراته وصقلت حواشيه ، واستقام على قدميه بقوة أسلاك معدنية

والحق أن مثل هذه الآثار كثيرة الوجود تحت الأنقاض وفى بطن الأرض ولكنها تتطلب مجهوداً عظيماً يكلف كثيراً فى بلد يقوم على هذا الوضع من الحياة والعزلة

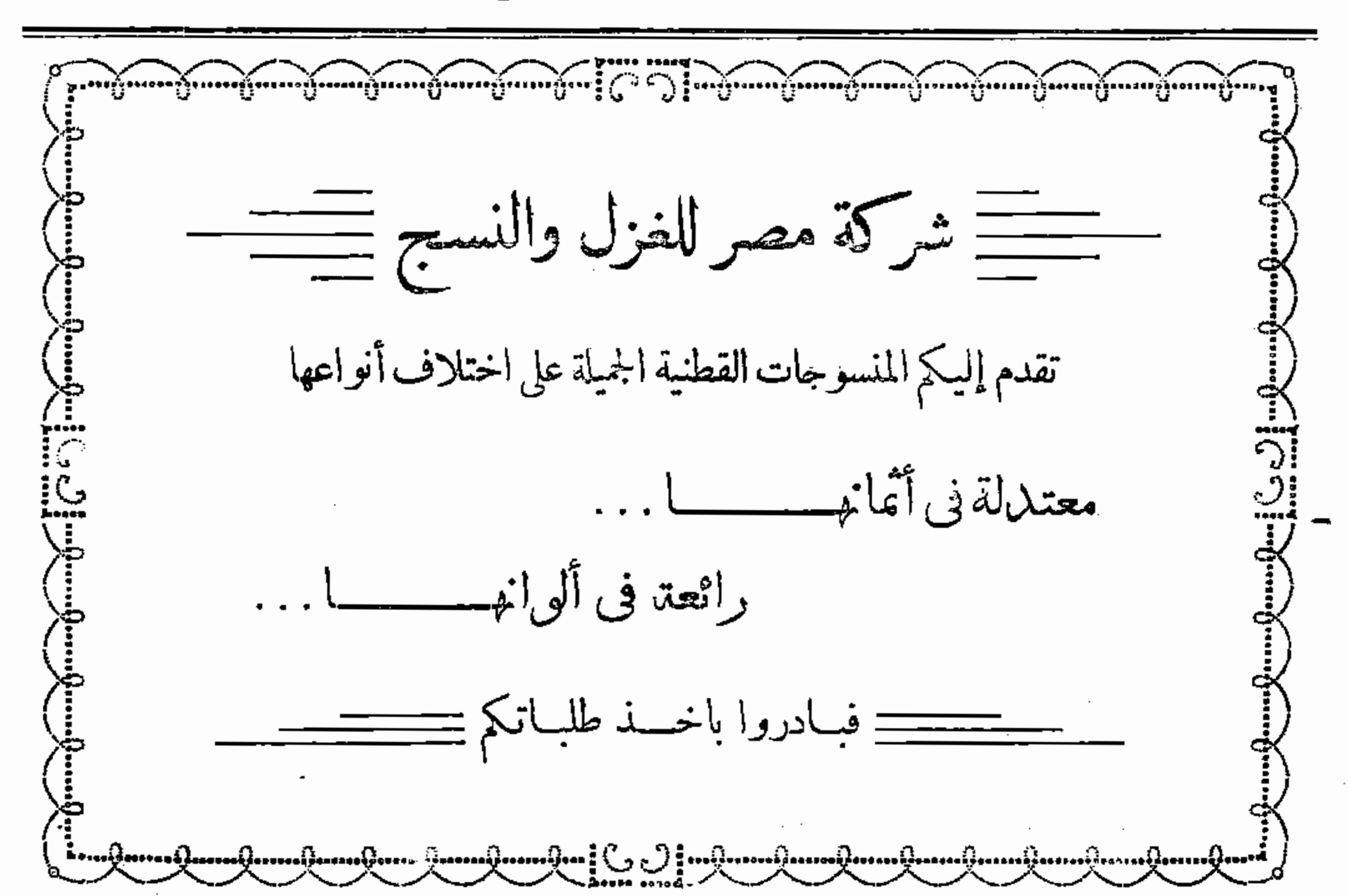
(القاهرة) **محمد عبد الله العمرى**

---

(١) هذا التمثال موجود اليوم بمتحف لندن ، أهداه الامام لملك الانجليز بمناسبة تتويجه

(١) مدينة أثرية على بعد خمس ساعات إلى الجنوب الشرقى من صنعاء

(٢) بلدة تقع على مقربة من غيمان



كتاب الأغانى

بقلم أبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

وأطلس عسال وما كان صاحباً رأى ضوء نارى موهناً فأتانى
فقلت ادن دونى أيها الذئب إننى وإياك فى زادى لمشتركان

البيتان من قصيدة للفرزدق ، والفرزدق ليس من الشعراء المعاصرين بالطبع ؛ ولكن اللحنين اللذين صنعا فيهما عصريان . أما أحدهما فللأستاذ أحمد أمين على نغمة مصرية هادئة ، وأما الآخر فللدكتور زكى مبارك على نغمة باريسية ثائرة

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : أو لم أقل لكم إن أفضل تقسيم للأدب أن يكون على أساس من اختلاف الثقافات ؟ فالأستاذ أحمد أمين مثال للثقافة المصرية المشبعة بالروح الإنكليزية . والدكتور زكى مبارك مثال للثقافة المصرية المشبعة بالروح الفرنسية ؛ ومن ثم كان الفارق بينهما ؛ فهذا هادئ رصين والآخر ثائر صاخب

قال الأستاذ الشايب : وسأحدثكم عن مثل يبين اختلاف الثقافتين : قيل إنه قد طلب إلى ثلاثة من الأدباء أحدهم إنكليزى والثانى فرنسى والثالث ألمانى أن يكتبوا شيئاً عن الجمل، أما الفرنسى فذهب إلى حديقة الحيوانات وكتب فى وريقة ما معناه :

« يا لله! ما أعجب وما أغرب! خف لين، وصبر بين، ووسادة تحت الصدر، وسنام فوق الظهر ! يا لله ! »

وعدداً آخر من النثر المشعور أو الشعر المنثور، ثم عاد أدراجه ودفع بما كتبه ارتجالاً إلى من ألقى عليه السؤال .

وأما الإنكليزى فارتحل إلى بلاد العرب ، وأقام فيها سنين اشترى فى خلالها جمالاً ونوقاً وراقبها من يوم مولدها إلى يوم موتها وأحصى مقدار ما تأكل كل يوم ، ومقدار ما يؤخذ من لبنها ، ومن وبرها ، وعدد ما تنتج . فلما انقضت الأعوام عاد فوضع كتاباً عن تاريخ الجمل .

قال الأستاذ الشايب : ولا علينا الآن أن نقول شيئاً عما فعل الألمانى ، ولكننى أكتفى بهذا القدر من المثل لأن الأستاذ أحمد أمين مثقف ثقافة إنكليزية فهو يؤرخ الأدب العربى على طريقة تربية الجمال وملاحظتها وتدوين الملاحظات . والدكتور زكى مبارك يتناول الأدب العربى على طريقة « يا لله ما أعجب وما أغرب ! »

قال أبو الفرج الاسكندرانى هـذا ما يقوله الأستاذ الشايب ولولا أن الشايب مثقف بالثقافة الإنكليزية دون الفرنسية ، لولا ذلك لعددناه شاهد عدل فى خصومة بين هذين الأديبين الكبيرين . ولكن لا شهادة لمن له ضلع مع أحد الخصمين

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال : لقد صنعت لحناً لهذه الأبيات الرائعة من شعر الفرزدق وإن كنت أعلم موضع الضعف فيها فهى بعض الشعر الإسلامى الذى جنى عليه أدب الجاهلية

قال امرؤ القيس الجاهلى :

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته
ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

فكان فى وصفه هذا اللقاء للذئب معرباً عن إحساس صادق وماذا قال امرؤ القيس ؟

لقد وازن بين شروده فى القفار وبؤسه وهو مطرود حائر محروم ، وبين الذئب فى مثل هذه الحالات فسوى عواءه

وكثر الدخيل على اللغة بإسلام من أسلم من أهل اللغات الأخرى فكان للشعر الجاهلى أثر غير أثره الطبيعى : ذلك أنه عماد هذه اللغة التى أصبحت عماداً للدين الجديد . فوقف شعراء الإسلام أمام أسلافهم من شعراء الجاهليين موقف العابد من المعبود لاقتران حاجتهم إليه بحاجتهم إلى المحافظة على اللغة واقتران محافظتهم على اللغة بحاجتهم إلى المحافظة على الدين، فمن أجل ذلك وضع الفرزدق قصيدة يصف فيها لقاء الذيب ووضع الشريف الرضى والبحترى قصيدتين فى نفس الغرض ولكن وصف الثلاثة الإسلاميين للقاء الذيب كان وصفاً غير طبيعى لأن همهم الأول كان أن يفعلوا كما فعل شاعر جاهلى يقدسونه

قال الفرزدق إنه قابل الذئب ولكن بماذا أحس ؟ بماذا شعر ؟

يقول إنه أحس بأنه يريد أن يعطيه زاده فهل كذلك يشعر الناس عند لقاء الذئاب

فلما دنا قلت ادن دونك إننى وإياك فى زادى لمشتركان

فبت أقد الزاد بيني وبينه على ضوء نار مرة ودخان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من ياذئب يصطحبان

على أن مجال التفكير كان حول الطعام، كان في شأن العشاء والشاعر لم يتجه هذه الوجهة إلا لأنه مداح أكثر شعره في مدح الملوك لنيل الجوائز، أفلا يحق لي أن أصف هذا الأدب بأنه أدب معدة وبأن الشعر الجاهلي قد جنى عليه ؟

قال الأستاذ أحمد أمين بك : والبحتري مادح آخر يتناول الهبات مكافأة على المديح وقد وصف الذئب وإن لم يلقه متأثراً بامرئ القيس فماذا قال وإلى أية ناحية كان اتجاهه ؟ إنه اتجه أيضاً وجهة غير طبيعية في الإعراب عن إحساس من يقابل الذئب فقد قال :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

إلى أن قال :

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته

فهل عرفت الآن ماذا فعل بالذئب لقد أكله الشاعر البحتري بعد أن شواه على الحصى !

أو ليس هذا أدب معدة ؟ أو ليس هذا مما جنى عليه الشعر الجاهلي ؟ على أنني أترك التحدث عن وصف الشريف الرضي للقاء الذئب إجلالاً للشريف

لكن في بيتي الفرزدق مع ذلك روعة وجلالاً وقد صنعت فيهما لحناً هادئاً يضرب بالشوكة والسكين الفضيتين على طبق من أطباق الذهب قبيل الطعام

حدثنا الأستاذ عبد العزيز البشري قال وقد سمع هذا الحديث: أما إنه للحن عذب يفتح الشهية لكن على ألا يكون الطعام من لحم الذئب الذي شواه البحتري

وحدثنا الدكتور زكي مبارك قال في صخب وضجة : لقد والله ظلموا البحتري وظلموا شعراء الإسلام. أو لم يقرأوا بقية القصيدة؟ قال البحتري :

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته فلم يبق إلا اللحم والعظم والجلد

فماذا أكل البحتري وقد استبقى اللحم والعظم والجلد ؟ إنه لم يأكل إلا الرأس والأكارع ، وهل في أكل الرأس والأكارع ما يستحق اتهام البحتري بأنه من أدباء المعدة ؟ هذا والله هو الإجحاف والجحود لمآثر الأسلاف ! ولماذا يكون الفرزدق محاكياً لامرئ القيس في وصف الذئب ؟

إنه إنما قال ما قال في وصف ذلك اللقاء معرباً عن شعور أصيل في نفسه هو شعور الكرم والنخوة فهو يطعم حتى الذئاب . وهو يعني ذئاب الإنسانية ؛ فالأمر لا يعدو المجاز

حدثنا الدكتور بشر فارس قال : هذه الأبيات من الشعر الرمزي ولا شأن للذئب فيها سوى أحرف اسمه

وحدثنا الأستاذ عبد العزيز البشري قال : وأي كرم ونخوة في إطعام ذئب سواء أكان ذئباً حقاً أم كان مكنياً به عن الإنسان ؟ إنه ليس في مصر كلها رجل واحد لا يطعم الذئاب دون أن يجد في ذلك مجالاً للفخر ، ففي كل مكان فيه ذئب يخرج مصري معمم أو مطربش فيقول :

... أيهـا الذئب إنني وإياك في زادي لمشتركان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني ....

ألا إنه لا كرم ولا نخوة في أمر شائع بين الجميع ، وإنما الكرم والنخوة أن تفعل ما لا يفعله خاصة الخاصة من الناس

أخبار الفرزدق وشعره

حدثنا الأستاذ علي الجارم بك قال : كان الفرزدق مفتشاً أول للغة العربية في حكومة بني مروان وكان من أصحاب العزة الجاهلية ففيه عجرفة يغتفرها له ما أفادته اللغة العربية من ثروة في شعره . وليس وصفه للذئب محاكاة لأبيات امرئ القيس ولا الذئب الذي وصفه من ذئاب الصحراء وأنشد :

صوت

وأنا الفرزدق غير أني لا أسف إلى الهجاء
يا جارة الوادي عففت فصنت أعراض النساء
لا كالفرزدق إنه قد كان مفقود الحياء

الشعر للأستاذ علي بك الجارم وقد اشترك في تلحينه كل مدرسي اللغة العربية بوزارة المعارف .

« يتبع » عبد اللطيف النشار

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولنعد إلى حديث بلنت مع عرابى ، ولما كان هذا الحديث يكشف لنا عن نواح كثيرة من تلك الشخصية التى نعنى بدراستها نرى الخير فى أن نورده على تمامه كما جاء فى مذكرات مستر بلنت قال : « وقد نفذ كثير من تلك الاصلاحات بعد أن عزى للموظفين البريطانيين فى عهد الاحتلال ، وادعى لورد كرومر أنه مبتكر كثيراً منها . فمن ذلك إلغاء السخرة التى كان يـ...ـها الباشوات الترك على الفلاحين ، واحتكار بيع الماء فى مدة الفيضان ، وحماية الفلاحين من المرابين اليونانيين الذين أنشبوا فيهم الأظفار بسبب فقدان العدل فى المحاكم المختلطة . ومن هذه الاصلاحات أيضاً إنشاء بنك زراعى تشرف عليه الحكومة ، وهذا هو البنك الذى باهى به كثيراً المرحوم اللورد كرومر ...

كذلك تناقشنا فى الاصلاحات القضائية ، وكانت دوائر القضاء يعمها الفساد ؛ وكذلك تكلمنا فى نظم تربية الذكور والإناث ، وفى طريقة الانتخاب للبرلمان الجديد ومسألة الرقيق ، وقد أطال عرابى الكلام فى هذه المسألة الأخيرة ، وكان الموظفون الأجانب فى مصلحة الرقيق قد خشوا أن يتناول الاقتصاد فى المرتبات مراكزهم ، ومن ثم كانوا يزعمون أن إحياء الإسلام معناه إحياء الاسترقاق . وقد أظهر لى عرابى ضعف هذا الزعم وما فيه من الافتراء ، وبين لى أنه ليس فى مصر من يود أن يكون له عبيد غير أمراء البيت الخديو والباشوات الأتراك الذين تعودوا استعباد الفلاحين ، وأن الاصلاحات الجديدة سوف توطد المساواة بين الناس مهما اختلفوا فى الجنس واللون والدين ، وليس مع هذا الإصلاح محل للاسترقاق . أما فيما يختص بضرورة الاستعداد لحرب محتملة — ذلك الاستعداد الذى يجب أن يشغل ذهن وزير الحرب فقد تكلم عنه بصراحة وقوة فقال إن الحكومة الوطنية لا تنزع سلاحها ولا تخفضه حتى يوطد الحكم الدستورى وتعترف أوربا به . وكان يرجو ألا يتجاوز مربوط وزارة الحرب الذى اتفق عليه مع كلفن وإلا يضطر إلى زيادة عدد رجال الجيش على ثمانية عشر ألفاً . أما إذا ا... التهديد بالتدخل فلا مناص له من اتباع الطريقة البروسية أى التجنيد العام لمدة قصيرة ليتمكن من إنشاء احتياطى كبير ، وقد سأل عن رأيى فى احتمال وقوع الحرب فقلت له صراحة إنى بما علمته من اجتهاد كلفن فى إحداث التدخل وبما أراه من الهياج الذى بثه فى الصحف أعتبر أن الخطر حقيقى . وإنى ذاهب إلى انجلترة لا لشىء إلا لأضع حداً لحملة الكذب التى ثارت فى الصحف ، وستكون مهمتى هناك نشر الدعوة للسلام وحسن النية ، وفى الوقت نفسه لم أستطع أن أنصح له إلا بالثبات والحزم فى موقفه وبأن أفضل وسيلة لضمان السلم إنما هى الاستعداد للدفاع . وقلت إن شر أعداء مصر ليس الحكومات الأوربية بل الماليين الأوربيين وإن هؤلاء لا بد أن يفكروا طويلاً قبل أن يعرضوا مصالحهم للخطر بالحض على إثارة حرب طويلة ذات نفقات طائلة ، وقل أن يسىء أحد إلى أمة مسلحة مستعدة للدفاع عن حقوقها . وأذكر أنى اقتبست من شعر لورد بيرون قوله : (لا تأمن الفرنج على الحرية) فوافق عرابى

على ذلك ، وكانت هذه فيما أظن آخر كلماتنا ، وقد وعدته أن أعود وأنضم إلى الوطنيين إذا شاء القضاء ووقع السوء »

وهذا الكلام من جانب ذلك الفلاح الذى تمخضت عنه مصر فى تلك السنين السود فى غنى عن كل تعليق . وما ندرى ماذا يرى فيه أولئك الذين أرادوا ألا يجعلوا لذلك الرجل مكاناً بين أبطال قومهم ، بل أولئك الذين يسلكونه فى المجرمين الخائنين لوطنهم فيرتكبون بذلك من ضروب الإجرام ما لن يزال عالقاً بأعناقهم حتى يروا الحق فيصدعوا به وهم راضون ؟

ماذا يرى فى هذا الحديث أولئك الذين تنفر أسماعهم من اسم عرابى ، وأولئك الذين يضحكون من جهله ويسخرون من تطاوله ؟ على أننا لا نعبأ بما يقولون وما يهزأون فإنا لنستشف من هذا الحديث وطنية رجل ونلمس فيه عزيمة رجل على خير ما تكون الوطنية وأحسن ما تكون العزيمة . ولئن كان لرجل من ذوى الجاه والثراء أن يفخر بصنيع أداه إلى بنى قومه ، فأجدر منه بالفخر كل الفخر رجل درج من عش الفاقة وبرز من عامة الناس ففعل ما لم يفعله غيره من أكابر الناس ! وإن هذا الرجل الذى يستشرف القلم فى غبطة وفخر إلى تاريخه ليقدم لنا بما فعل الدليل الناصع والبرهان القاطع على أن تربة هذا الوادى الذى أنبتت بالأمس الفراعين لا تزال تنبت أولى العزم والبأس من الرجال ؛ وأن بين هؤلاء الذين يجيلون الفؤوس فى غيطانها ويعملون صامتين صابرين فى الهجير والزمهرير رجالاً هم كالدر المخبوء لو أزيح عنه ما يطمره من تراب لتلألأ وسطع وسحر بريقه المتوهج القلوب والأبصار .

* * *

مضت الوزارة فى سبيلها غير عابئة بصراخ أعدائها لا تتخاذل من دون غايتها ولا تستبعد الشقة، وذلك على الرغم من أنها كانت لا تجاوز عقبة إلا قام فى سبيلها عقبات

ولقد قبع الخديو فى زوايا العزلة ، وجعل الغدارون الخوانون بينه وبين وزرائه حجاباً من الأباطيل التى أحكموا نسجها . والواقع أن الخديو لم يكن على شىء مما كان يجب أن يتصف به من يضطلع بأعباء الحكم فى مثل هاتيك الظروف ، فلقد كان مستطار القلب حائر اللب مما يجرى حوله ، فهو لا يسيغ الحركة الوطنية ولا يستطيع أن يصالح عليها طبعه ؛ وهو مستريب فى نيات الحكومة العثمانية نحوه ونحو عرشه ؛ وهو فزع مما يشاع من دسائس الأمير عبد الحليم ، بل ودسائس أبيه ومساعيه فى مصر والآستانة على يد أعوانه ؛ ثم هو فضلاً عن هذا كله قد بات تحت سيطرة الأجانب وعلى الأخص الإنجليز منهم فما يقطع أمراً حتى يوافقون عليه بل لا يخطو خطوة حتى يرى رأيهم فيها

ومن كان هذا شأنه فى موقف كهذا الموقف الدقيق الذى كانت تقفه مصر من أعدائها يومئذ كان مثل الراعى أحاطت الضوارى بقطيعه فما يرجو أكثر من أن ينجو هو بنفسه ولو هلك القطيع جميعاً .

وكانت الدولتان كما سلف القول تراوغ كلتاهما الأخرى ، وتغافلها بغية الظفر بالفريسة وحدها ؛ وهذه هى حقيقة السياسة الخارجية التى لا تفهم على وجهها الحق دون الانتباه إليها ، وإن كان كرومر ينفى هذا فى كتابه نفياً قاطعاً قائلاً إنه كان ذا صلة وثيقة برجال ذلك العهد جميعاً . ولو أن هذا كان موقف انجلترة ما منعه شىء عن الاعتراف به .

ولكن نفى كرومر هذا لا يغير الحقائق. وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد ما كتبه ريناخ أحد أصدقاء غمبتا عن سياسة الدولتين قال : « إن الرأى العام فى انجلترة قد وقع تحت تأثير بعض رجال حزب الشورى الذين اعتقدوا أن خير ما يعمل هو استعجال الحوادث جهد الطاقة أملاً فى إيجاد فرصة لدخول وادى النيل دون فرنسا »

حسبنا تلك العبارة التى حاول كرومر أن يفندها بما ذكرنا من نفى فلم يستطع أن يأتى بدليل أو شبه دليل على صحة رأيه فلن يكون النفى المجرد مما ينهض دليلاً يؤخذ به فى أمر من الأمور

وكان غمبتا من أشد أعداء مصر بل من أشد أعداء الإسلام قاطبة ، وكان هذا الرجل يهودياً على صلة برجال المال من الدائنين؛ وكان يحيط به فى باريس ريفرز ولسن وتوبار يوحيان إليه بما يريان؛ وكان بطبعه ممن يميلون إلى اللجوء إلى القوة فى كل ما يتعلق بالشرق والشرقيين

وكان هذا الوزير يحاول أن يدفع انجلترة لتأخذ بسياسته ولكن جرانفيل راح يراوغه مظهراً له أن خيرهما فى أن يتفقا، وفى الوقت نفسه كان يحذره عاقبة التدخل المسلح فى شؤون مصر سواء أكان ذلك من جانب إحدى الدولتين أم من جانبيهما

معاً لأن ذلك العمل كان من شأنه أن يجر في أعقابه كثيراً من المشاكل

ولقد رأينا مبلغ تشدده في وجوب إرسال المذكرة المشتركة المشؤومة ، ثم إصراره بعد ذلك على عدم تخفيف وقعها بأي وجه من الوجوه . ولقد كانت كل من الدولتين تحرص على ألا تنفرد فتنكشف ، لذلك كانت تجاري إحداهما الأخرى وإنها لمتكرهة أشد الاستكراه وأقبحه ... وكانت انجلترة تأخذ نفسها بالصبر حتى تحين الفرصة فتقتنصها

على أن غمبتا لم يلبث في الحكم طويلاً فسقطت وزارته في أول فبراير عام ١٨٨٢ أي قبل تأليف وزارة البارودي بخمسة أيام وحل محله في الوزارة دي فريسنيه . وكان هذا من أول الأمر يرى في المسألة المصرية ما لا يتفق وسياسة غمبتا

ولكن الأمور كانت قد تحرجت في مصر بما فعل غمبتا ، وفقدت العناصر الوطنية في البلاد كما أشرنا كل ثقة في الدولتين جميعاً حتى أصبح من أصعب الأمور التفاهم في السياسة العامة

وكان الإنجليز في مصر يعملون جهد طاقتهم لحساب دولتهم حتى إذا حانت ساعة العمل لم يكن بينهم وبين فريستهم حائل ؛ ولقد ظلوا متربصين بمصر بعد أن نجحت وزارة البارودي في حل مسألة الميزانية ينتظرون أن تواتيهم فرصة فيعملوا على تنفيذ ما بيتوا

وأخيراً وقع في مصر حادث ما نظن في تاريخ الاستعمار الأوربي كله أن استغل حادث كما استغل – في قبح ما بعده قبح – ذلك الحادث على بعد ما بينه وبين السياسة العامة للبلاد ، وذلك هو حادث المؤامرة الجركسية المشؤوم

نمي إلى عرابي وزملائه أن فريقاً من الضباط الجراكسة في الجيش يأتمرون به وأصحابه ليقتلوهم ! فكان أن ألقت الحكومة القبض عليهم كما يقضي بذلك واجبها وساقتهم إلى المحاكمة فقضت فيهم قضاءها . وليس في هذا الحادث في ذاته ما يتصل بالسياسة العامة للبلاد بسبب من الأسباب . وما كانت أية وزارة تستطيع أن تسلك فيه سبيلاً غير التي سلكته وزارة البارودي ؛ ولكن الكائدين المفترين ما لبثوا أن ملأوا الدنيا صياحاً وتنديداً وتهديداً ووعيداً ، ونسوا كل شيء إلا تحقيق أطماعهم من وراء هذا الحادث ، فكان من أقوالهم وأفعالهم ما هو حقيق بأن يسم تاريخ أي شعب من الشعوب بميسم العار والخزي ؛ بل ما هو خليق بأن يساق بين أقوى الأدلة وأنصعها على صحة مبدأ القائلين بأن هذه المدنية المزعومة قد أفسدت بني الإنسان فزادتهم قرباً إلى الحيوانية بقدر ما باعدت بينهم وبين ما كان يرجى للآدمية من سمو روحي ظل أمل الفلاسفة منذ أن أخذوا يحاولون التخلص من هذا الطين وينزعون بأبصارهم وأرواحهم إلى السموات

والحق لقد دل مسلك دعاة المدنية الأوربية على مبلغ ما يمكن أن يصل إليه غدر الإنسان بأخيه الإنسان في عصرنا هذا ، وما برح مثل عملهم هذا يوحي إلى ذوي الأحلام والآمال من البشر أن الإنسان لا يزال هو الإنسان ، وأنه إذا كان ارتقى في شيء ففي وسائل الكيد والبطش . أما غرائزه الأولى : غرائز السيطرة والأنانية وحب التملك ، لا زالت بحيث لم يطرأ عليها أي تعديل ، أو سمو على الرغم مما يتبجح به المثاليون والخياليون من حماة الإنسانية . وإنا لنجد في بيان مدى ما وصل إليه هؤلاء الساسة من انحطاط خيراً من أن نعرض المسألة في وضعها الطبيعي البسيط وما كان من أمرهم إزاءها مكتفين بذلك عن كل تعليق عليها ، فما كان لكلام أن يبين عما يتحرك في الذهن ويعتلج في أطواء النفس أو يشق القلب مما يحس من ألم وضيق أمام مثل ذلك العدوان الشنيع .

« يتبع » **الخفيف**



استطلاع صحفي

جولة في مصلحة الكيمياء

معمل للأمة وللحكومة

لمندوب الرسالة

انتقلت مصلحة الكيمياء من مبناها القديم الضيق في فناء وزارة الأشغال إلى عمارتها الجديدة بشارع الملكة نازلي وبذلك فتحت أبوابها لكل ما يطلبه منها الجمهور من اختبارات كيميائية تكشف عن صلاحية للمواد والمنتجات لحياة العملية ، وبهذه الخطوة يستطيع الصانع أن يختبر مواده هناك كما يستطيع أن يحصل لمنتجاته على شهادات حكومية بصلاحيتها ولن يكلفه ذلك للمال الكثير فان المصلحة تشجع على ذلك ولا تأخذ منه إلا أجراً زهيداً؛ ولذلك رأينا بعد استئذان مراقبها الدكتور أحمد زكي بك أن نقدم لقراء الرسالة صورة مما يحدث في ذلك المعهد وإن تكن صورة مقتضبة لأن عمل المصلحة متشعب والصفحات محدودة

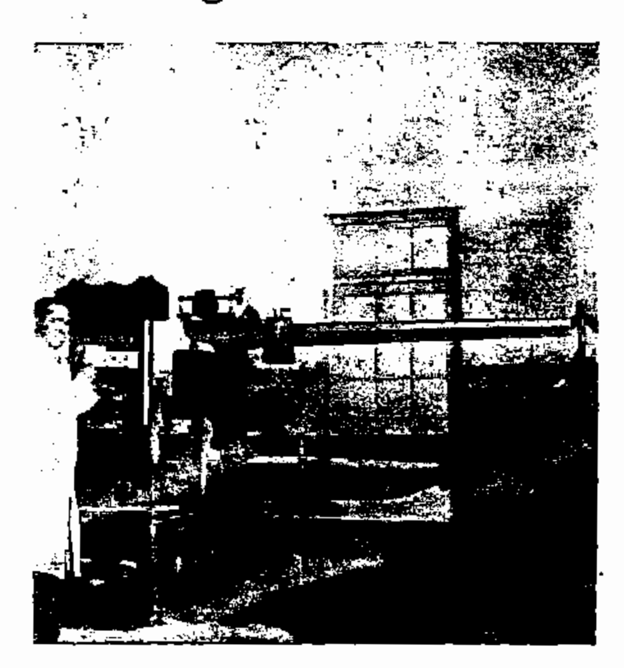
مهارة الصانع

قال الدكتور محمد سعيد سليم رئيس قسم تحليل مواد البناء في مصلحة الكيمياء:

« نقوم بتجاربنا هنا على مواد رخيصة القيمة ولكنها خطيرة المسئولية . فقد يكون ثمن مواد الأسمنت أو الجبس أو الضيص زهيداً ، ولكن الخطأ في تقدير قوة مقاومتها يؤدي إلى ضياع كثير من الأنفس والأموال . فتصور عمارة تشيد بالأسمنت المسلح لم يراع في خلط مواده النسب القانونية أو زادت على المخلوط كميات الماء حتى ذاب الأسمنت وسال وبقي الرمل وحده ليسند البناء . فلما تمت العمارة أتى الناس من كل جهات القاهرة ليجدوا فيها السكن اللائق ؛ فلما نقلوا أثاثهم وتظموا غرفهم ثقل وزنهم على قوة مقاومة عاسك الرمل وقليل الأسمنت فسقطت السقوف وقتلت البنين والبنات، ورملت الأزواج والزوجات»

ثم وضع الدكتور قالباً مصنوعاً من الأسمنت المسلح بين فكي آلة ليختبر قوة الشد الذي تتحمله البوصة المكعبة منه؛ ثم فتح صنبوراً تساقطت منه كرات من الرصاص في وعاء يقع ضغطه على ذراع يجذب أحد أطراف قالب الأسمنت إلى أعلى بينما الطرف الأسفل ثابت . وبعد برهة انكسر قالب الأسمنت وفي الوقت نفسه هبط ثقل الرصاص على يد معدنية وقفت تساقط كرات الرصاص في الوعاء . فلما وزن الوعاء ومحتوياته قال : « البوصة المكعبة من هذا المخلوط تتحمل شداً قدره ٦٢٠ رطلاً »

وأثبت في جدول أمامه رقم القالب وقوة مقاومته فلاحظت أنه القالب السادس فأوضح ذلك قائلاً : إننا نتبع في اختباراتنا عدة تجارب من نفس النوع وعلى نفس المادة ثم نأخذ متوسط النتائج ، فلا يخفى عليك ما ليد الصانع من تأثير على متانة البناء . بل يمكنك أن تلاحظ اختلاف الصناعة من هذه العينات الست التي قام بها عامل واحد وهي مخلوطة من مادة واحدة ، فأنت ترى أنها تختلف بين ٥٣٠ رطلاً و ٦٢٠ رطلاً . ويرجع هذا الاختلاف إلى عنايته ببعض النماذج ثم قلة هذه العناية في غيرها بسبب تعب يده أو سرعته . ولكن في البلاد التي تقوم بعملية صب العينات آلات حركاتها منتظمة تظهر النتائج للعينات المتماثلة ثابتة



الدكتور محمد سعيد سليم وهو يضع إحدى قطع الرخام بين فكي آلة قياس الضغط

معمل الأمة والحكومة

ومصلحة الكيمياء في مقرها الجديد بشارع الملكة نازلي معمل أبحاث يختبر كل المواد من حيث مدى صلاحيتها للعمل ،

كما يقرر المواصفات التي يجب توفرها في تلك المواد حتى تكون متينة التركيب فتتحمل الاستعمال مدة طويلة . وكذلك يجب أن تكون رخيصة حرصاً على أموال الحكومة . ففي معمل القاهرة (للمصلحة معامل أخرى في الإسكندرية) تختبر جميع مواد المناقصات ويوضع الحد الأدنى لقبول متانة المواد . فإذا أرادت إحدى المصالح أن تعلن عن مناقصة وضعت المبادئ المطلوبة ثم تركت لمصلحة الكيمياء مهمة بحثها وقبول العطاءات التي يتوافر فيها الرخص والمتانة معاً . فهذه المصلحة هي في الواقع معمل الدولة وقريباً تصبح معمل الأمة أيضاً . إذ أن التوسع الحديث في مبانيها أتاح لموظفيها أن يزيدوا ميدان عملهم فسمح الجمهور أن يطلب إلى المصلحة اختبار المواد التي يريدها بأجر زهيد



الأستاذ مطر يختبر قطعة قماش ليعرف كمية الصوف الموجودة بها فيضعها في وعاء به صودا كاوية بنسبة ٥ ٪ ويغليها فيذوب كل الصوف وتبقى المواد الأخرى

والعمل الأساسي لهذا المعمل هو اختبار المواد والمنتجات في أي شكل من أشكالها وتعيين مدى صلاحيتها وتركيبها الكيميائي . وهي بهذا تراقب بطريق غير مباشر تنفيذ عقود الحكومة مع مقاوليها في بناء عماراتها أو مورديها عند ما يبيعون للحكومة أو لإحدى مصالحها بعض المنتجات الصناعية أو الزراعية أو الكيميائية من أي صنف كانت؛ فعندما تطرح مناقصة في السوق يتقدم التجار بعينات وبأثمان الوحدات التي تتخذها الحكومة قاعدة لمعاملاتها فتتولى المصلحة اختبار تلك المواد وتحديد نوعها ثم تشير بقبول أحد العطاءات.



الأستاذ أمين سليم يختبر عينة زيت بمشاهدة معامل انكسارها داخل الجهر

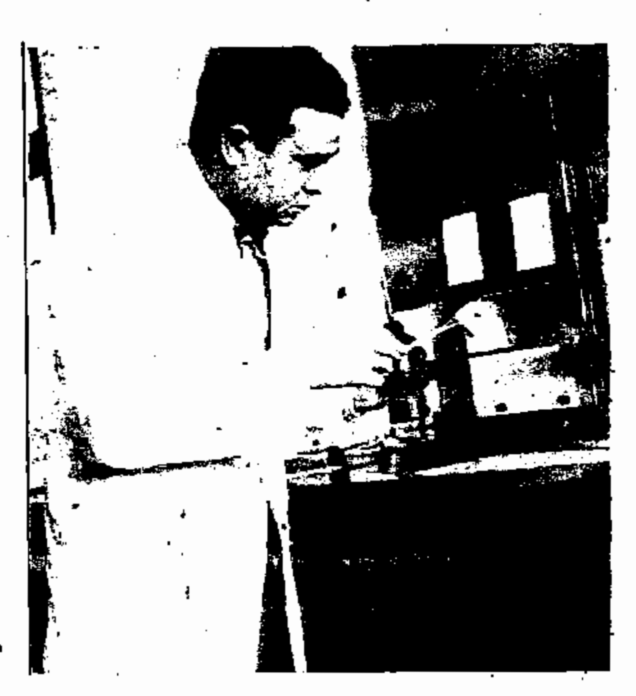
فإذا بدأت العملية الثانية وورد المتعهد منتجاته فعلى المصلحة أن تختبر تلك المواد الموردة لترى إذا كانت مطابقة للعينات الأولى أم أدخل عليها تعديل أو غش . فإن الغش في المسائل الصناعية كثير وخطير ويعرض أموال الدولة وأرواح أفرادها للضياع

ثمانية معامل

ومصلحة الكيمياء ليست مجموعة من المكاتب يجلس خلفها عدد من الموظفين بل هي عدة معامل يقوم فيها الإخصائيون بمختلف التجارب العملية اللازمة لاختبار المواد التي نستعملها في حياتنا العامة . وتتكون المصلحة من ثمانية معامل أولها لاختبار مواد البناء من أحجار وملاط؛ والثاني خاص بالمنسوجات على اختلاف أنواعها وبه فرع لفحص متانة الورق؛ وقسم ثالث لفحص الأصباغ بأنواعها؛ واختص قسم رابع بفحص الزيوت النباتية والمواد التي تدخل فيه كصناعة الصابون والشمع والجليسرين . ويمتاز معمل المعادن

بما يحتويه من أفران ترتفع حرارتها إلى درجة عالية تكفى لصهر أى معدن . وهذه الأفران مصنوعة من مواد تمنع نفوذ الحرارة إلى باقى أجزاء الحجرة . فى استطاعتك أن تجلس إلى جوار الفرن دون أن تشعر بأن حرارته ٥٠٠ أو ٦٠٠ درجة مئوية . واختبار المعادن مسألة دقيقة فمنها الثمين ومنها الرخيص ووسائل الغش فيها كثيرة

ولمواد الوقود قسمان : أحدهما خاص باختبار المواد السائلة كالنفط والبنزين ، والثانى خاص بالمواد الصلبة كالفحم . وقد انضم إلى معمل القاهرة أخيراً معمل الدخان الذى كان فى الأسكندرية ويقوم بعمل الأبحاث اللازمة لفحص المنتجات ، سواء أكان لمعرفة جودتها وصلاحيتها أم لإجابة مصلحة الجمارك إلى طلباتها .



ليست حرارة الجحيم أشد من حرارة هذا الفرن فهى تصل إلى درجة ألف سنتيجراد لصهر أى معدن ويرى الأستاذ عبد الرحمن مسعد وهو يضع بوتقة فى الفرن

بين المخبار والمجهر

ويمكن تلخيص عمليات الفحص التى تتبع فى هـذا المعمل بتقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهى التحليل الكيميائى والميكرسكوبى والاختبار الطبيعى . ويكاد النوع الأول يسود جميع غرف المعمل فلم أدخل غرفة واحدة إلا شاهدت فيها أنابيب الاختبار وزجاجات المواد الكيميائية . فإن الفحص الكيميائى يبين تركيب المواد فينكشف ما فيها من مواد غريبة ضارة . فإذا قدم لنا البائع قطعة قماش وقال إنها صوف نقى يمكننا أن نعرف مقدار صحة كلامه بأن نضع قطعة من هذا القماش فى صودا بدرجة ٥ ٪ ثم نغليها على النار فيذوب كل الصوف . فإذا كان القماش يحتوى أى مادة غريبة كالقطن مثلاً فإنها تبقى ، وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نعرف كية القطن الموجودة فى القماش .



مكتبة المصلحة مرتبة على أحدث وأسهل طراز ويرى أمينها وهو ينظم الفيشات على الطريقة الحديثة ، و « الفيشة » هنا عبارة عن ورقة عرضها نصف سنتيمتر ويكتب عليها اسم الكتاب ومؤلفه لتوضع فى تلك اللوحة تبعاً للترتيب الأبجدى

ويستعمل التحليل الميكرسكوبى غالباً فى قسمى المنسوجات والزيوت النباتية . فالفحص تحت المجهر يمكننا أن نعرف عدد الخيوط فى البوصة المربعة فيحدد الفاحص طول البوصة على القماش ثم يضعه تحت المجهر الذى أعد لتسهيل هذه العملية الدقيقة ويقدر إخصائيو المصلحة عدد خيوط القماش الجيد بخمسين فتلة فى البوصة سواء أكان ذلك فى اللحمة أم فى السدى .

وبالمجهر أيضاً يمكننا أن نعرف نوع النسيج إذا كان قطنيًا أو صوفيًا أو تيليًا فلكل فتلة مميزاتها ، ففتلة القطن معتدلة بينما فتلة التيل ملتوية إلى غير ذلك من الصفات التى درسها الإخصائيون وشاهدوها فى اختباراتهم وتجاربهم

وإذا مر الضوء في سائل فإنه ينكسر بزاوية خاصة تسمى معامل الانكسار ولذلك تختبر الزيوت بمراقبة معامل انكسار الضوء فيها داخل مجهر خاص قسمت زواياه بطريقة خاصة تبين معامل انكساره وبالتالي توضح جودة الزيت أو رداءته

شد وضغط وتماسك

وللتحليل الطبيعي عدة طرق يختبر بواسطتها قوة مقاومة المادة للطبيعة، ويكاد هذا النوع يسيطر على كل الاختبارات في معامل مصلحة الكيمياء. فمواد البناء مثلاً تتعرض في الطبيعة للشد والضغط والتماسك، ولذلك يجب أن تختبر من هذه النواحي الثلاث. وقوة التماسك من العوامل المهمة في تقدير صلاحية مواد البناء. فالأسمنت تبعاً للمبادئ المعمول بها في المصلحة يجب أن يبدأ تماسكه بعد نصف ساعة من بنائه، وأن يتم بعد عشر ساعات. ويقول الفنيون إن كمية الماء التي تخلط بالأسمنت لا يجوز أن تزيد على ٨ ٪ من حجم المخلوط وإلا ضعفت قوة مقاومة الأسمنت وسالت مواده فتركت المخلوط رملاً وزلطاً فقط

وتتأثر الملابس بأشعة الشمس، ولذلك تختبر المصلحة تأثير هذه الأشعة على القماش فتعرض جزءاً منه مدة ٥ إلى ٧ أيام تبعاً لحالة الجو ثم تلاحظ ما يبدو عليها من تغيير. وتؤثر الرطوبة على المنسوجات فتقوى القماش وتزيد ثقله، ولذلك يحتفظ قسم المنسوجات بغرفة لها درجة رطوبة ثابتة. فلاختبار عينات من القماش تبيت العينة ليلة في تلك الغرفة لتأخذ درجة رطوبتها. ووزن القماش من الاختبارات المهمة فقد يكون عدد الفتل كبيراً ولكنها رفيعة ضعيفة. وتعتبر البفتة السمراء جيدة إذا كان وزن الياردة المربعة منها ١٦٠ جراماً وقوة الشد على طولها أو عرضها ٣٥٠ رطلاً

ويعتبر زيت النفط (البترول) من أحسن أنواع الوقود ويكفي جرام واحد منه لإنتاج ١٠ آلاف كالوري وهو الوحدة المستعملة لرفع درجة حرارة جرام واحد درجة واحدة سنتيجراد. ويمكن غش النفط بإضافة المازوت أو النفط الوسخ إليه. ويمتاز البترول عن الفحم الحجري بأن الأخير يترك رماداً. ولذلك يضع قسم الوقود أكبر كمية يمكن قبولها للرماد في الفحم وهي ٥ ٪ وهو يتأثر أيضاً بالرطوبة ولذلك يجب ألا تزيد درجة رطوبته على ٥ ٪ وتختبر مواد الوقود بمعرفة القيم الحرارية الناتجة من المادة

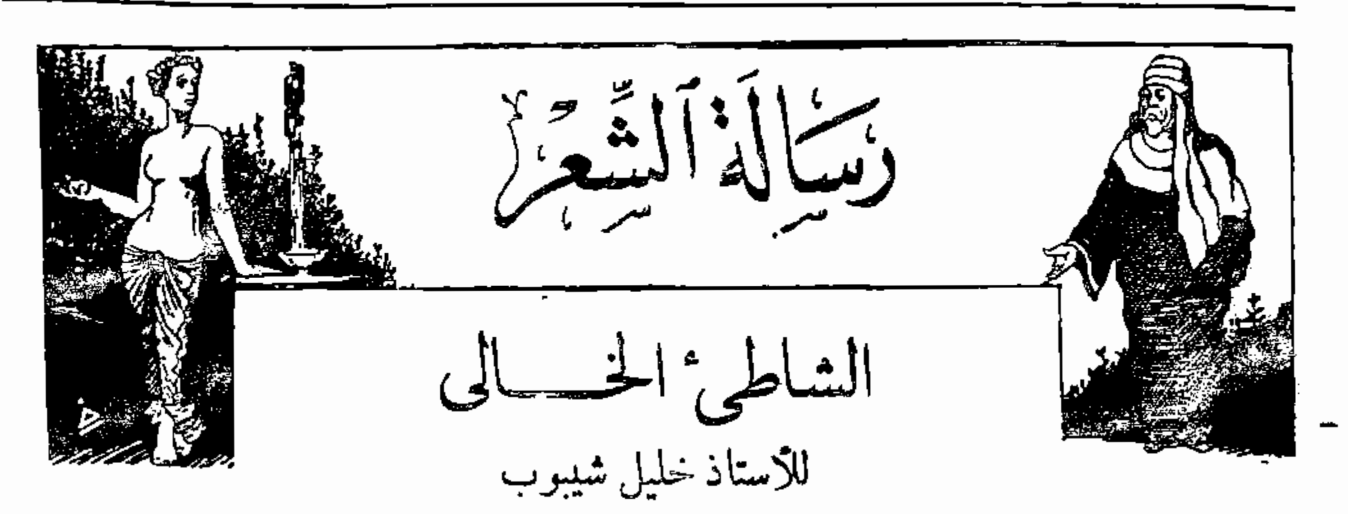
ثلاث أنابيب

ويلاحظ الزائر لهذه المعامل ثلاث أنابيب ملونة تسير في جميع الغرف تقريباً. فأما الأنبوبة البيضاء فهي خاصة بتوصيل الهواء المضغوط إلى أجهزة خاصة تحضر فيها الغازات. فإذا أريد تنقية المكان من هذا الغاز فتحت هذه الأنبوبة فطردت الغازات الغريبة وتستطيع هذه الأنبوبة أيضاً أن تقدم لمن يشاء هواء نقياً

الأنبوبة الحمراء خاصة بغاز الاستصباح الذي يشمل في التجارب المختلفة وقد صنع من اللون الأحمر ليكون إنذاراً للعمال على أنها أنبوبة خطرة. والأنبوبة الثالثة خضراء وهي خاصة بالماء. ويسيطر على هذه الأنابيب عدة محابس كما أن استعمال أنبوبتي الهواء أو الغاز يضاء له مصباح أحمر إلى جوارها

وللمصلحة مكتبة كبيرة فخمة على أحدث طراز يتبع أمينها أسهل الوسائل لتبسيط إجراءات البحث عن المراجع المطلوبة وصرفها. وقد استعمل لذلك تنظيم الكتب على أحدث طريقة أمريكية، فرتب فهارس الكتب في لوحات طويلة من الحديد مما يسهل على الباحث العثور على كتابه بسرعة. والمجلات هي أكثر المجلدات الموجودة في المكتبة. فإن العلم سريع التجدد والتغير. ولذلك كان الاطلاع على المجلات العلمية الدورية خير من الكتب للباحث المطلع

فوزي جيد الشتوي



الشاطئ الخالى

للأستاذ خليل شيبوب

الشاطئُ اليوم خال لا قطين به ... إلا بقايا من الأشباح ترتفق
أما الألى مرحوا فيه فإنهم ... سرعان ما اجتمعوا فيه وما افترقوا
كانوا جماعات لهو جد جدهم ... حيناً ولكنهم فى العيش ما اتفقوا
لم يمنحوه هواهم مثلما فعلت ... نفسى التى برشاش الماء تمتلق
أخليته لهمُ حتى إذا ارتحلوا ... عنه إذا بى إليه الآن أنطلق
تبسط الرمل فيه اليوم وانتعشت ... فيه الصخور عليها الموج يندفق
وعاد ما كان من أمن ومن دعة ... إليه مذ زال عنه الطيش والنزق
العين آخذة فى سمته رَتَلاً ... من التعاريج تبدو ثم تنغلق
والصخر يصغى إلى الأمواج تنشده ... لحن الطبيعة فيه الحب متسق
حلته مسترسلات العشب مسبلة ... غدائراً تلتقى فيه وتفترق
والأفق غشته أستار وأعمدة ... حمراء ماج عليها غيمه اليقق
قصر من الفتن الكبرى تيممه ... شمس الأصيل بها الأكوان تأتنق
كأنما الريح لما رف ناسمها ... سالت حنيناً بها أرواح من عشقوا

* * *

حملت حبى إليه واعتزلت به ... عن كل سامعة تصغى وتسترق
وفى فؤادىَ رسم ليس يبصره ... سواى والكون حولى صامت فَرِق
كأننى عابد جاثٍ على صنم ... أخفاه بين الضلوع الحب والفَرَق
إنى تحدثنى عن مقلتيك هنا ... هذى البحار وهذى الشمس والأفق
ومن جبينك مرفوعاً تضىء به ... طهارة الحسن مزهواً بها الخلق
أراك فى قسمات الغيب سابحة ... يفج حولك فجر الحب والشفق
فى واهج من هيولى النور منعكس ... منى بها شهداء الحب قد صعقوا
مجلوة بنشيد السعد لحنه ... معنى الرجاء الذى فى الغيب يصطفق
يا جنة فقدت عينى مباهجها ... وفى يدى لم يزل من نشرها عبق
هل ساعة ومضت بالسعد راجعة ... أم انقضت وتقاضى نورها الغسق
صبرت لكن هذا الصمت أقلقنى ... حتى تناهب عمرى الصبر والقلق
إن الأمانى فى صدرى قد انتحرت ... فأين أدفنها والصدر مختنق
لم يبق من مهجتى الحرى سوى رمق ... ينحل فيها ولن يستمسك الرمق
فليتنى لم أكن حياً وتأكلنى ... نار لعينيك فيها بت أحترق

* * *

يا أيها الشاطئُ الخالى رحبت مدى ... ولا أطاف به التكدير والرنق
أراك منى أدنى من عرفت لذا ... عمرى عليك بما لاقيت ينطبق
كم اجتنبت الورى مالى ومالهم ... وكم تمنيت أن الناس ما خلقوا
إنى قطعت مسافات وصلت بها ... إلى مساء حياتى وهى تستبق
أرى الظلام بما فيه يهددنى ... وفى الظلام يطول الهم والأرق
وشاطئُ النفس مهجور قد انطمست ... معالم الأنس فيه وامحى الأفق
والحب بحر صفا لى برهة فإذا ... وراء ذاك الصفاء التيه والغرق
يا أيها الشاطئُ الخالى هنا وقفت ... بى الحياة على آثار من سبقوا
ما عاد غيرك لى من أستريح له ... وليس غيرى قطين فيك يلتحق
محضتك الود صرفاً فاجزنى مقة ... فإننى بك قلبى مولع ومق

«الأسكندرية» **خليل شيبوب**

النسمات ...

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

خبّريني يا نُسَيْمات الأصيل ما الذى نِلت من النهر الطروب؟
قد لثمتِ الماء فى رفق الخليل ولثمتِ الزورق الجارى اللعوب
فارتمى الموج على الشاطئ من فَرْط الهوى
وتهادى الزورقُ السبّاقُ حيناً والتوى !

***

ومرَرْتِ الآن بالأزهار مَرًّا فنفحتِ الجوَّ من طيبك لينا
ولثمتِ. كم لثمتِ الآن زهراً فانثنى خجلان أو فرحان حينا
فزعَ الطيرُ لِمَا يعرُو الفَنَنْ
فمضى يشدو بألحان الشَّجنْ

***

أنتِ ما ألطفكِ الآن ! وما أعذب لثمك !
ألثُميها فى حنان، ليتنى رُوحٌ لَثْمك !
تتلقاكِ بأنفاسٍ طروبه
وتحيّيكِ تحياتٍ غريبه
وهى تصغى لحديثى فى سكون ووداعه
مثل طفلٍ مطمئنٍ بين أحلام الرضاعه
فإذا ما حدّثتنى فهى كالجدول فى الروض الأريض
والمراعى
نَغَمُ القلبِ لدى الحُلْم وأنغامُ القريض
فى سماعى

***

خبّرينى ! خبّرينى يا نُسَيْماتِ الأصيل
ما الذى نِلتِ من الزهر ومنّا ؟
هل سلبْتِ الزهرَ شيئاً بيننا كان يميل
واختطفتِ يا تُرَى لما ابتسمنا
بعضَ أغراضكِ ؟ ماذا
نِلتِه من كلّ هذا ؟

***

هزأتْ بى النسماتْ فسألتُ الموجاتْ
وسألتُ الزهراتْ كلُّها بى هازئاتْ

***

خبّرينى أنت يا من سبّح القلبُ بحُبّك
ما الذى نالتْهُ هاتيك النسائمْ
منكِ ؟ ها تَفرُكِ وضّاءً وباسمْ
خبّرينى فى صفاء خبّرينى إىْ وربّكْ !
لم تنلْ شيئاً، ومَنْ منّا ينالْ ! ؟
كلُّ ما فى الحبّ أطيافُ خيالْ ... !

حسن كامل الصيرفى

على الشاطئ

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

يا حبيبى أنا فى الثغر غريبُ قست الأيام لو تدرى عليهِ
قلبه من حرقة الوجد يذوب وتوارت بسمةٌ فى شفتيه
ذاهلٌ تلقاه كالطير الجريح ماتت الأنغام فى أوكارهِ
ذابلٌ كالعود يغدو ويروح عطّلته الريحُ من أزهارهِ

***

أين ما لاقيت من صفو الليالى ؟
فى ربيع العمر والدنيا ابتسامْ
والأمانى الزهر فى دلٍّ حيالى
ضاحكات راقصات للغرامْ
وأنا فى دوحة الحب أغنى أسرق الألحان من سحر العيون
بين صفو ونعيم وتمنى آهِ. قد طال إلى الماضى حنينى

***

يا حبيبى ها هنا فوق الرمالِ مسرح للغيد يَسبى الناظرينْ
فوقه يرتع أرباب الجمالِ فى ظلال الصفو فى رفقٍ ولينْ
بيد أنى لمْ أجد فيه لعينى
فى معانى الحسن من معنى حبيبِ
طالما أنت غريب الدار عنى
فأنا الظامئُ فى قفر جديبِ
أتغنى بك إذْ أنت نشيد تتمشى فى دمى أنغامهُ
وأمنى النفس بالماضى يعود أترى تهفو لنا أيامه ؟

« الاسكندرية » مصطفى على عبد الرحمن



دراسات فى الفن

هى مرة واحـــــدة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

لى صديق نحات انكسر له تمثال فحزن عليه ، فأردت أن أواسيه فقلت له : ألا تستطيع أن تعوضه بغيره ؟ فقال لى : قد أوفق إلى ما هو خير منه، ولكنى يائس من التوفيق إليه هو.

وحدثت بذلك صديقاً لى آخر شاعراً فقال لى : إنى مثل صاحبك لو فقدت قصيدة عجزت عن إعادة إرسالها . فاستطلعت الرأى عند صاحب لنا صحافى فنصحنى بالجمود عنها لأنها مسألة مغربة . فأهملتها ثم نسيتها ولم أذكرها فى جد إلا حين توكلت على الله لأعد لقراء الرسالة حديث هذا الأسبوع . فقد نادتنى إليها من جديد وهى تسألنى : أما وجدت مخرجاً لصديقك الذى وقع منه التمثال فانكسر؟ فأطرقت أبحث عن المخرج فإذا بصديقى الشاعر يتهادى أمام خيالى وعلى شفتيه الساخرتين ابتسامة أعرفها وأستطيب مراقصتها بروحى التى تستجيب إلى صفائه تراحماً وحناناً . قال لى : كنت بالأمس نشوان استخفتنى وحشة ذات بهجة فانطلق لسانى بشعر طربت له بالأمس كل الطرب ولكنى لم أسجله ، ولما أصبحت وأردت أن أستعيده لم أسترجع منه إلا أشباحاً فكيف السبيل إليه ؟ أو أنت لا تزال عاجزاً مع صديقك النحات لما تحطم حطام تمثاله ؟

وصديقاى الشاعر والنحات عزيزان على معزة كل فنان فلا أقل من الترحيب أستقبل به مسألتهما هذه فهى مما يعرض للفنانين جميعاً ، ولا ريب أن استعراضها وتفتيقها سيظهران بعض ما نحب أن نقف عليه من أسرار الفن ومراحل تخلقه فى نفوس الفنانين

ولنبدأ إذن بتجديد هذه المسألة حتى لا نتيه فيها كما نتيه أحياناً فى تلافيف هذا الفن وثناياه المتكسرة أنوارها بعضها على بعض والتى قد تضل من يجوس خلالها ، ولكنه على أى حال الضلال المأمون المعجب

مسألتنا هى : هل يمكن إنتاج القطعة الفنية نفسها مرتين ؟

ولكى نقرب هذه المسألة من أذهان المتباعدين عنها ، والذين يستغربونها نطرحها هى نفسها ، ولكن من ناحية لينة لا يعسر هضمها على ذهن من الأذهان . فنقول : هل تستطيع المرأة أن تلد طفلها نفسه مرتين ؟! وسيجزع المستغربون حين يروننا قد قلبنا مسألتنا هذا القلب ، وسيستطيع واحد منهم إذا أعانه الله أن يطبق فمه الذى انفتح لتتفجر منه الدهشة مزاحة عن صدره ، وسيفتح فمه بعد ذلك ليسيل منه سؤال من أسئلة المستغربين فيقول : وما للولادة والفن ؟ وما أطيب عندنا من رد لهفته إذ نقول إن الإنتاج الفنى ليس شيئاً غير النسل الروحى كما أن الولادة إنجاب حيوانى ... وكما أن الولادة لا تكون إلا باتحاد عنصرى الجنس المختلفين وهما الذكر والأنثى ، فإن الإنتاج الفنى لا يكون إلا باتحاد عنصرى الجنس الفنى وهما نفس الفنان والحياة نفسها . وكما أن الولادة لا تحدث إلا بعد وقت يقضيه الجنين فى بطن أمه ، فإن الإنتاج الفنى لا يحدث إلا بعد وقت يقضيه الجنين الفنى فى نفس الفنان ، وكما أن الولادة إذا حدثت قبل أن يكتمل تخليق الجنين فى بطن أمه لم تكن إلا إجهاضاً ، ولم يكن الوليد إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً ، فإن الإنتاج الفنى إذا حدث قبل أن يكتمل تخليق الجنين الفنى فى نفس الفنان لم يكن إلا إجهاضاً ، ولم يكن الفن إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً . وكما أن الطفل

بعد ولادته قد يعيش وينمو برعاية أمه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت لضعفه بعد قليل أو كثير ، فإن الفن قد يعيش وينمو برعاية صاحبه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت لضعفه بعد قليل أو كثير . وكما أن المولود إذا نما وترعرع أنجب هو أيضاً مواليد ومواليد ، فإذا مات خلد في أبنائه وأحفاده ، فإن الفن إذا نما وترعرع أنجب هو أيضاً مواليد ومواليد ، فإذا مات خلد في أبنائه وأحفاده . وكما أن هناك أمراضاً تناسلية تصيب الأجنة وتظهر في المواليد ، فإن هناك أمراضاً روحية تتحرف بالفنون وتنفث فيها السموم ؛ وكما أن هناك أمهات خبيثات النظر ينسلن لأزواجهن أبناء غيرهم ، فإن هناك نفوساً فنية خبيثة النظر تذل لغير الروح ودواعيها ، فتنسب للفن ما ليس من الفن وما يصرخ الفن بإنكاره صراخاً له آذان خاصة تسمعه . وكما أن في الأمهات مزواجات ، فللواحدة منهن ولد من كل أب ، ولكل ولد من أولادها شبه ، فإن من الفنانين من يتنقلون بين الأحاسيس والفكر فيتشكل إنتاجهم ويتلون . وكما أن في الأمهات ذوات عصمة وقناعة بالتجربة الواحدة ، فلأفراد نسلها ملامح مميزة متشابهة ، فإن من الفنانين من ينحصر اتجاههم إلى ناحية واحدة يضربون فيها بجُمّاع أرواحهم ، فلإنتاجهم طابع هذا الاتجاه وملامحه المميزة المتشابهة . وكما أنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن أنجبت عذراء وليداً مرتجلاً ملهماً ، فكان مسيحاً ولم يمت كما يموت الناس وإنما رفع ؛ فإنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن ارتجل نبي فناملهماً فكان قرآناً وخلد . وبما أن هذه الظواهر جميعاً قد تماثلت وتعادلت في الولادة وفي الإنتاج الفني ، فإنها لا بد أن تتشابه وتتعادل فيهما من حيث أنها لا يمكن أن تحدث في كل دفعة إلا مرة واحدة .

ونسكت نحن بعد أن نقول هذا كله ، وننتظر في سكتتنا أن نرى شيئاً من علائم الفهم يتبدى على وجه صاحبنا المستغرب فإذا به مصغ إلينا في صمتنا كما كان مصغياً إلينا أثناء كلامنا فلا نستطيع أن نعلل هذا إلا بأنه يفهم من الصمت ما يفهمه من الكلام . ولما كنا مؤمنين بأنه يمتنع عليه فهم الصمت امتناعاً لوجود كما يقول النحاة فهو من غير شك لم يفهم من كلامنا شيئاً ... أمرنا إلى الله ! لنستفهمه مقدار إدراكه لعله يوفر علينا الإعادة من جديد ولنسأله : ما رأيك يا مولانا فيما كنا نقول ؟ ها هو ذا « يا فرحتنا » يسألنا : ماذا كنتم تقولون ؟

— استمنا عليك وعلى أنفسنا بالله ... إسمع ! هل أنت فنان ؟

— نعم .

— وما فن حضرتك ؟

— الكتابة ...

— حسن. قل لنا الآن ما الذي يحدث لك قبل أن تكتب ؟ ألا تشعر بأعراض الحمل والوضع ؟..

— هه ؟ ماذا جرى لعقولكم ؟ . إنكم مجانين

— هذا شيء لا نستطيع أن ننكره ، وإن كنت لا تستطيع أن تثبته ، وهو على أي حال ليس يعنينا الآن قدر ما تعنينا هذه الأعراض التي نسائلك عنها والتي نريد أن نعرف إذا كنت تشعر بها قبل « إحداث » إنتاجك الفني ، أو أنك تنتجه هكذا ، فهو إما أن يكون وحياً ، أو لا يكون فناً على الإطلاق

— أنا لا أشعر بأعراض ، ولا يمكن أن تكون للكتابة أعراض إلا إذا كانت مرضاً

— كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تنزل عليه الوحي ارتجف وتصبب عرقه وغاب . فكانت هذه هي أعراض الوحي : الارتجاف وتصبب العرق عارضان بدنيان ، والغياب أو « الانتخاذ » عارض روحي ، وقد كان في هذه الأعراض من العنف وحدة المفاجأة ما يناسب الإعجاز الذي يميز القرآن ، ولكل فن بعد ذلك ما يناسب قدره من الأعراض ، فكم ترتجف حضرتك قبل أن تكتب وكم تتصبب عرقاً ، وكم تغيب عن هذه الدنيا ؟

— إن شيئاً من هذا لا يحدث لي .

— إذن فأنت لست فناناً ، فالفنانون يحدث لهم هذا . كلهم : الكاتب ، والشاعر ، والموسيقي ، والرسام ، والنحات ، والممثل حين يرسم حدود دوره ، ويفصل ملامحه . فالكاتب ، إذا رضينا به مثلاً يعيش وهو مرهف الحس مشحوذ العقل كغيره من الفنانين فيرى في الحياة ما يؤثر فيها تأثيراً خاصاً يحدث انفعالاً نفسياً خاصاً ، فإذا توالى عليه حدوث هذا الانفعال النفسي تربى عنده ما يسميه علماء النفس بالوجدان ، وهم يعرفونه بأنه استجابة باللذة أو بالألم لما يحدث في النفس من الشعور ، فإذا تجمعت عدة مؤثرات حول هدف نفسي واحد ولونها وجدان واحد بلون واحد فقد تخلقت

فى النفس عاطفة تحيط بهذا الهدف ، ولا تلبث هذه العاطفة تنمو فى النفس وتتموج حتى لا يعود حبسها ميسوراً فتتفجر إما فناً منظماً منسقاً ، وإما دوياً روحياً لا نظام فيه وإن كان فيه كل ما فى الفن أو ما يزيد على الفن بلاغة فى التعبير . ففصول الألم والحزن التى كتبها كتاب الأرض جميعاً تخفض الرأس أمام أى دمعة صادقة خشوعاً وإجلالاً ... فهل كتبت يوماً يا أستاذ ما كان بعض دموعك ؟ ...

— وماذا يصنع الموسيقى ؟

— ما يفعله الأديب ، وكل ما بينه وبين الأديب من فرق أن الأديب يعبر عن نفسه بالكلام ، والموسيقى يعبر عن نفسه بالنغم ، ولعلك سمعت أنه كان للشاعر من شعراء الماضى راوية .

— نعم . وأحسب الشعراء كانوا يختارون رواتهم ممن قويت حافظتهم .

— كلا . وإنما كان الأمر على العكس من ذلك ، فقد كان الرواة هم الذين يختارون شعراءهم ، فالرواة لهم من الاستعداد الفنى حظ كبير ، وهم هواة حقيقيون . لعل الواحد منهم كان يعين شاعره على الحياة . ولقد كان الواحد منهم يشترى صاحبه بالدنيا وما فيها ويلزمه ويتابعه لا لشىء إلا أن ينعم منه بساعات الصفاء التى يتيحها له الزمن . وهو من شدة لهفته وحبه لصاحبه يحفظ عنه ما يقول لا يدفعه إلى ذلك إلا حرصه على هذا الكنز وخشية أن يضيع أو يندثر . وقد كان يمر الوقت الطويل أو القصير فينسى الشاعر شعره ويعجز عن إعادته . أما الراوية فذاكره ومعيده كلما أراد إعادته ، فهو من الشاعر كالجارية ، ومن الشعر كالمربية يصونه ويدلله . ولعلك سمعت أن من المغنين من كان لهم أيضاً رواة ، فكان المغنى يطلق ما يهتاج فى نفسه من الأحاسيس غناء لا يعبأ بأنغامه ، ولا يرتب ألحانه ، وإنما هو ينفث الزاخر فى نفسه من العواطف ، وكان الراوية يلقف منه فنه هذا ويرسده فى نفسه ويثبته تثبيتاً ، فإذا نزع المغنى بعد ذلك إلى اللحن وجده عند راويته ولم يجده عند نفسه ، ذلك أن الفن أنه لا تصدر إلا مع الموجدة ، فمتى صدرت لم يكن بد لترجيعها من موجدة جديدة ، وإلا كانت فى حرارة الذكرى ولم تكن فى استعار النازلة

— إذن فأنت تنكر على الفنانين استلهام ماضيهم

— لست أنكر هذا ولا أستقبحه ، ولكنى أحفظ للفن المرسل مكانه المتسامى على مكان الفن المختزن ، على أنى لا أستطيع أن أخفض من قدر هذا الفن المختزن فقد يكون فيه من العنف والقوة ما فى غضبة الحليم من الشدة والسعة . ومهما يكن الأمر فإن هذا خارج عن بحثنا ، ومن الخير لنا أن نعود إلى ما كنا فيه . فهل هناك شىء تريد أن تستوضحه ؟

— إنك قلت إن الفن إذا أخرج قبل أن يكتمل فى نفس الفنان تخليقه لم يكن إلا سقطاً . فماذا تقصد بهذا ؟

— لا ريب أنك قرأت لكتاب محببين إليك فصولاً أنكرتها عليهم . هذه الفصول كتبوها وهم كارهون لأنهم لم يكونوا استكملوها فى نفوسهم ولكنهم لأسباب يعلمونها هم أخرجوها فكان هذا منهم إجهاضاً ، وكذلك الأمر مع الشعراء والموسيقيين والنحاتين والرسامين وغيرهم من أصحاب الفنون

— هذا حسن . وكيف تتوالد الفنون بعد ذلك ؟

هذه الفنون مخلوقات حية لا أجسام لها ، وهى تعيش فيما بين النفوس والأرواح تنازلها وتعاشقها ، فإذا طاب فن لروح تزاوجا وكان من نسلهما بعد ذلك فن ونفس جديدان فى كل منهما ملامح من الفن القديم وملامح من النفس الأولى . ألم تسمع بالمدارس الفنية والمذاهب الفنية يا أخى ؟ ... هذه هى ولكنا نقول عنها أسر وقبائل وشعوب

— يا سلام ... وما هى هذه الأمراض الروحية التى تنحرف بالفنون وتنفث فيها السموم ؟

— للروح أمراض كثيرة كما أن للبدن أمراضاً كثيرة . وأقسى أمراض الروح وأشدها فتكاً والعياذ بالله المرض الأصفر

— وهل تصاب الأرواح بالكوليرا أيضاً كالأجسام ؟

— وما من فرق غير أن كوليرا الروح معنوية لا يعرفها الأطباء !

— وكيف عرفت أنت وكيف ميزت لونها ؟

— لست أدرى . ولكنى سألت نفسى يوماً عن حكمة الله فى الصفرة يلون بها الموت والذهب وما بينهما من الخبث والشر . ألم تر صفرة الذهب ؟ أولم تر صفرة الموت ؟ أولم تر مسكيناً خبيثاً



خداعاً منافقاً يصفر وهو يغش الناس ويكذب عليهم ؟ أو لم تحاول يوماً أن تلمح بين كل صفرة وصفرة من هذه ... رابطة ؟

— أوه ! أنا فاهم . أنت تريد أن تقول إن بعض الفنانين تشابهم هذه الصفرة فتنتاب فنونهم بالوراثة

— آه لو أن لي حق الإشارة بمنح النياشين !

— أشكرك وأحسبني أستطيع بعد ذلك أن أجرى في الموازنة بين الفن وهو المخلوق الروحي كما قلت ، وبين الناس وهم المخلوقات المجسدة ، على هذا القياس الذي رسمته لي

— وأحسبك بعد ذلك ستقول معي إن الفن لا يمكن إنتاجه إلا مرة واحدة

وعدت إلى صديقيّ النحات والشاعر وقلت لهما : يا صاحبيّ إطلبا العوض من الله فأنتما عاجزان عن استرجاع ما ضيعتما ، فلا أنت معيد تمثالك ولا أنت معيد قصيدتك

حبيب أحمد فهمي

من الأدب الرمزي

ورقة من السماء

للقصصي الدانيمركي أندرسن

بقلم السيد عارف قياسة

في أوج السماء الرفيع ، في الهواء النقي الندى ، طار ملاك بزهرة من رياض الفردوس . ولما لثمها أسقط ورقة منها على الثرى وسط الغابة ، فما لبثت أن اتخذت جذوراً ، ونمت وترعرعت بين الحشائش الأخرى . ولكن أنواع النبات لم تشأ أن تعترف بأنها واحدة منها . . . فكانت تقول : « ما أغرب هذا الغرس ..! » وكان الحسك والقراص أول من رقص على نغمة الهزء ، ولمع في عينه السخر . كان الحسك يقول باحتقار : « من أين أتى هذا ...؟ هذه بذرة ضئيلة من البقول لم نر أسرع منها نمواً ... أمن اللائق ذلك ..؟ وهل يدور في خلدها أنا نسندها حين تلويها كف الهواء ... ؟ »

وجاء الشتاء ، وغمر الثلج محيا البسيطة ، ونفض الغرس السماوي على الثلج بهاء رائعاً ، ورواء ناصعاً ، كأن شعاعاً زاهياً من الشمس رقص تحت حواشيه ، فأنارها بفيض من لألائه ...

وأتى الربيع الضحوك ، وحمل الغرس زهرة ما رأت العين أنصع منها بهجة ، ولا أبرع فتوناً ...

وسمع عنها أستاذ علم النبات الذائع الصيت في البلاد ، فخف إليها وشهادته الرفيعة تشهد بعلمه الجم واطلاعه الرحيب ومعرفته الغزيرة . وتأمل الغرس بإعجاب ، وحلله وذاق من أوراقه لم يكن ليشبه ما أبصرته عيناه من أعاشيب ؛ وما كان في مقدوره أن يرده إلى فصيلته أو نوعه . فلم يتمالك أخيراً أن قال : « هو غرس هجين . . . هو نبات فذ غريب ؛ ذلك لا يطّرد على قاعدة ، ولا يجرى على قياس » . وردد الحسك والقراص : « ذلك لا يطّرد على قاعدة ، ولا يجرى على قياس » . ورأت الأشجار الفارعة الفليظة وسمعت ما كان ، فلم تفه بخير ولا شر ، وذلك عين الحكمة حين ترين الغباوة على الأذهان

. . . ودلفت إلى الغابة فتاة فقيرة ، عفة الضمير ، طاهرة الأذيال ، نقية الفؤاد ، عامرة القلب بالإيمان ، لا تملك من دنياها غير إنجيل عتيق يخيل إليها أن الله يحدثها من خلاله . علمت منه شرور الناس ، وخبثهم السافل ، ولكنها عرفت أيضاً أن علينا — حين نتلقى جورهم وعذابهم ، ونقاسي سخطهم وسخريتهم — أن نذكر يسوع الطاهر ، وأن يكون لنا فيه أسوة حسنة ، وأن نردد معه قوله : « اللهم اغفر لهم ، فإنهم لا يعلمون ما يصنعون »

ووقفت الفتاة أمام الغرس العجيب ، وقد كانت زهرته تضمخ

الهواء بأريج عذب لذيذ يترقرق فى الأرواح ، وتمض فى الشمس كطاقة من النيران الصناعية

وعند ما دغدغ النسيم أوراقها رنت فى أذنهــا ألحان علوية ، وأنغام سماوية

وظلت الفتاة فى نشوة من اللذة ، وغمرة من الذهول البهيج أمام هذه الأعجوبة . ومالت برأسها نحو الغرس ... لتتأمله عن كثب ... وتنشق أنفاسه الندية العطرة . . .

وشعرت بقلبها ينتعش ويتفتح ... وبذهنها يستضىء بنور الحكمة الإلهية . ومدت يدها ، وقطفت الزهرة ، وفؤادها خافق بالسرور . ولكنها فكرت فى أن فى ذلك بعض السوء ، وأن نضرة الزهرة ستذوى ، وجمالها سيمّحى . فلم تأخذ غير وريقة خضراء وضعتها بين إنجيلها ، حيث ظلت رفافة الطراوة ، بديعة الاخضرار

وتعاقبت الأسابيع ، ووضع الإنجيل والورقة تحت رأس الفتاة فى تابوتها

واستراحت الفتاة فيه بسكون ، وفى قسمات محياها البديع الوديع تلوح سعادة خلاصها من الغبار الأرضى ، ودنوها من الخالق

وفى أثناء ذلك طفق الغرس ينمو ويزهر ، والعصافير العابرة تنحنى أمامه بتجلة واحترام

وهمس الحسك والقراص : « أنظروا جيداً هذا الأجنبى ... وهل يدرون لماذا يسفحون عبرة أعينهم ويريقون ماء أوجههم ؟ أبداً لا نحذو حذوهم الغبى »

حتى دويبات الغابة السمجة ، فقد كانت تبصق أمام الغرس الساقط من أوج السماء .

واقتلع راعى الخنازير ، وهو يضم حزم العوسج ليشعل ناره ، مُلَيْقاً وحسكاً وقُرّاصاً ، وكذلك الغرس الوسيم بجذوره وقال فى نفسه : « كل ذلك لا يصلح لغير طهى الطعام . »

وكان ملك البلاد تغشى روحه كآبة سوداء ، ما كان شىء ليقشع دياجيرها ، ويبدد ظلماتها فانطلق يلهو منهمكاً فى مشاغل شعبه ، ومطالعات آيات العباقرة المؤلفين ، ثم آثار الكتاب التافهة الهزيلة . وما أجدى ذلك ولا عاد عليه بطائل .

حينذاك أحضر أحكم من فى الكون ، فأجاب أن لديه وسيلة لشفاء الملك وتنفيس كربه ! ذلك أن يأتيه بزهرة سماوية نبتت فى غابة من مملكته . وطفق يعرض أوصافها ، ويسرد خصائصها . وعرف الغرس الذى أثار حب الاطلاع منذ هنيهة .

وقال الراعى فى نفسه : لقد اقتلعته وايم الحق منذ أمد بعيد ، ولم يبق منه هشيم . وإلى هذا يقود الجهل . »

وخجل الراعى من نفسه واحترس من أن يعيط اللثام عما جنت يداه . واختفى الغرس ، ولم يبق منــه غير ورقة ترف على رأس الفتاة الراقدة فى قبرها ، ولكن أحداً لا يعلم بذلك .

وجاء الملك بنفسه إلى الغابة ليتحقق من زوال الغرس . وقال : « هنا إذن قد ترعرع الغرس ، فسيقدس المكان منذ الآن »

وأحاط المكان بسياج من الذهب ، ووضع حراساً عليه .

وكتب أستاذ علم النبات النابه عن صفات الغرس الإلهى بحثاً مطولاً بين فيه كل ما فقد بفقده . وغمر المليك بالذهب كل صفحة من صفحات المؤلف . ولكن المليك مازال محزون القلب ولم يجد لشجنه دواء ، والحراس المساكين كان يلوى الألم بأفئدتهم فى الغابة ...

« حماه ــ سوريا » عارف قباس

من هنا ومن هناك

الفوهرر « فوزى القاوقجى »

[عن مجلة « فى VU » الباريسية]

نشرت مجلة (فى VU) الباريسية عدة فصول ممتعة عن بلاد العرب والرجال الذين يقودون الحركة العربية فى هذه الأيام . وقد قدمت تلك الفصول بكلمة قالت فيها : إن هذه الحركة ذات الأثر الفعال فى مركز الإمبراطورية البريطانية يقودها سبعة أشخاص كل منهم يعد نفسه أولى بالملك والزعامة فى بلاد العرب . وقد نقلنا عنها فى عددين سابقين ما كتبته عن الملك ابن السعود بعنوان (نابليون العرب) . وما كتبته عن الأمير عبد الله بعنوان (هل يظفر الأمير عبد الله بملك فلسطين ؟) . واليوم ننقل عنها كلمة عن الثائر العربى فوزى القاوقجى حتى تكون لدى القارئ فكرة وافية عن هؤلاء الرجال الذين يتطلع إليهم العالم كلما ذكرت المشكلة العربية :

ليس فى فلسطين من يجهل اسم فوزى القاوقجى . فهذا الرجل الذى تروى عنه القصص والأخبار العجيبة يعرفه كل عربى وكل يهودى ، بل وكل بريطانى يمشى على أرض فلسطين ، بأنه ذلك البطل الوطنى والثائر العربى الذى يخشى بأسه فى تلك البلاد

وتدل الأخبار المستقاة من قسم المخابرات البريطانية على أن فوزى القاوقجى يقود جيشاً يتراوح عدده من ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل . وهذا الجيش يهدد مواصلات الصحارى والجبال فى فلسطين ، ويقطع الطريق على من تحدثه نفسه بعبورها

ويعد أتباع هذا القائد من أشجع الرجال وأصبرهم على تحمل المشقات ، وهم يستميتون فى مقاومة عدوهم اللدود ما دام القاوقجى يشعل فى نفوسهم نيران الحقد ، ويتجنب كل موقعة مع القوى البريطانية من شأنها أن تؤدى إلى هزيمة

وقد استولت على نفسه عقيدة بأن القوة التى يقودها فى فلسطين سيكون لها أثر فى يوم من الأيام فى رفع شأن الأمة المحمدية ، أو إحياء مجد العرب ، لذلك لا تطاوعه نفسه على استباق الحوادث والمخاطرة بالظروف التى هى فى انتظاره يوماً من الأيام .

ويعد القاوقجى مسئولاً عن إمارة حرب العصابات فى فلسطين فيتسلل هؤلاء البدو الذين يقودهم فى ظلام الليل إلى المدن ، ويختفون كالأشباح عند ظهور الفجر تاركين وراءهم المنازل المشتعلة بالنيران والأراضى المخربة ، والجثث المضرجة بالدماء . وتعد هذه المظاهر الرعبة شاهداً صامتاً على أن القاوقجى ورجاله قد مروا بهذه المنطقة فى المساء .

والقاوقجى رجل متوسط الطول عريض الأكتاف ملتف الساعدين جميل الصورة فى كوفيته البيضاء والعقال الذى يلفه على رأسه هو وأتباعه ، ولكن الملابس الإفرنجية قد تقلل من مظهره وتعطيه صورة أخرى .

ولقد قضى القاوقجى أيام شبابه فى سوريا ، وأرسل منها إلى القسطنطينية ليتدرب على الأعمال العسكرية بها . ولقد كان نشاطه وأعماله الحربية فى إبان الحرب العالمية من الأعاجيب . ويقال إنه كان يقود فيلقاً من الجيش التركى . ويقال كذلك إنه انضم إلى الحلفاء وحارب مع الكولونيل لورنس . وسواء أكان هذا صحيحاً أو غير صحيح ، فما لا شك فيه أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى كان زعيم ثورة فى تلك البلاد . وقد قبض عليه الفرنسيون ووضعوه فى سجن جبل الدروز وقد حكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام ، ولكنه فر بأعجوبة قبل التنفيذ بساعات معدودات .

والقاوقجى يؤلف قوة منظمة تمثل الجهة الشمالية من فلسطين. وهو يعتقد ككل فوهرر فى الشرق والغرب أنه وحده من دون ملوك العرب وأمرائها وشيوخها أحق الناس وأقدرهم على أن يكون الحاكم الأعظم للعرب بل ولعامة المسلمين

هتلر ليس نابليون

[بقلم المؤرخ الانجليزي فيليب جواديلا]

فى هتلر بعض مظاهر وصفات تدعو إلى المقارنة بينه وبين نابليون . ولكن هل تصح المقارنة بين هتلر ونابليون ؟

لقد كانت مواهب ذلك القائد الكورسيكي وانتصاراته الحربية جديرة بأن ترفعه إلى حيث يسود الأمة الفرنسية . ولم يظهر هتلر بعد شيئاً من مواهبه الحربية إذا كانت له مواهب فى هذا الشأن . وهو ولا شك سيكون القائد المسئول فى ألمانيا إذا نشبت نيران الحرب .

إن هـذا الرجل الذى يتظاهر أمام العالم بعبادة القوة ، لم يظهر كفاية حربية من أى نوع فى أيام الحرب العظمى التى يتحن بها الرجال . وكل ما هنالك أنه ارتقى فجأة إلى رتبة جاويش

إن مواهب هتلر ولا شك تظهر فى كثير من الشئون الاجتماعية والمدنية . ويزعم الألمان أنه خطيب لا يشق له غبار وأن لديه مقدرة عظيمة على استهواء الجماهير ، وإن كان غيرهم لا يطيق تلك الخطب التى تبدو فيها صرخاته العصبية المزعجة وهو يتكلم عن معاهدات السلم أو يتعرض للاشتراكية أو اليهود

لم يكن نابليون فرنسياً خالصاً ، وهو ولا شك من عنصر أقوى صلابة من العنصر الإيطالى ، إلا أنه عاش لاتينياً طول حياته . لقد كان سريعاً نحو غايته طموحاً مدرباً على الحروب ، منطقياً إلى أبعد حد، ميالاً إلى الانتقام، عصبيًّا فى بعض الظروف ولكنه على الرغم من ذلك كان مسلحاً بدروع سميكة من الصبر وضبط النفس عند الملمات — فهل توجد فروق أكثر من هذه بينه وبين ذلك الرجل المفتون بطبيعته ، الذى يتولى زمام الأمور فى ألمانيا؟ وشتان بين خيالات العزلة والانفراد على القمم والجنون العجيب بمسألة الدم والنشأة وحياة العزوبة — وبين تلك الحياة التى أخرجت قانون نابليون المتيد ، وقادت الجيوش المنتصرة فى شتى الميادين ، ولم يشغلها كل ذلك عن الحب والمرح فى أخطر الظروف.

إننا لا نجد وسيلة للمقارنة بين تينك الشخصيتين المتناقضتين إلا فى شيء واحد : وهو استعمال القسوة التى تفرضها الضرورة على كل مستبد يساق إلى معاداة العالم. لقد محا هتلر تشيكوسلوفاكية واجتاحها بغير رأفة ، وذلك يذكرنا بإفساد نابليون فى أسبانيا ، ولكن أسبانيا قد عاشت بعد نابليون

الحق أن نابليون أزعج العالم بمحاولته التوسع فى الامتلاك ولكنه وُقف عند حده . وهذه نتيجة تنتظر كل من تحدثه نفسه بمثل ذلك العمل . لقد كانت جميع الأمم تنظر إلى نابليون بعين الاحترام وهو امبراطور لفرنسا ؛ إلا أنه حينما أراد أن يضع يده على الأراضى الأوربية أخذت أوربا تجمع قواها شيئاً فشيئاً واستعدت لأن تقهر أكبر جيش فى العالم وأقدر جندى عرفه التاريخ . وعبر الأيام تحدثنا بأن كل من تحدثه نفسه بأن يلعب دور نابليون لا بد أن يلاقيه فى النهاية حظ نابليون .

لا جديد تحت الشمس — العالم منذ ألفى سنة

[عن مجلة دتش أندشو التى تصدر فى برلين]

كان للإغريق والرومان مدفعية يرجع عهدها إلى أربعمائة سنة قبل الميلاد ، وقد تقدموا فى رمى القذائف والنبال ، فأصبحت تلقى إلى مئات الأمتار ، واخترع ديونسيس آلة لرمى النبال تستطيع أن تدور باستمرار فتلقى ما فيها بغير انقطاع .

واستطاع البيزنطيون أن يخترعوا طريقة لقذف النار ، ولم يكن البارود قد اخترع بعد ، ولكنهم استطاعوا أن يسخروا القوى والآلات الموجودة فى ذلك العهد لهذا الغرض ، وقد صنع قدماء الإغريق والرومان كل ما صنعوه فى آماد طويلة ، إذ أن السرعة التى هى من سمات هذا العصر لم تكن معروفة فى تلك العهود . ولم يكن أهلوها يعرفون المثل القائل إن الوقت من ذهب ، ولم يكن عندهم عمال ومصالح كما هو معهود الآن

وإذا كان القدماء لم يعرفوا الساعة كما نعرفها الآن فإنه كان لديهم الذكاء الكافى لتقدير الوقت ، ومع ذلك فقد استعمل قدماء المصريين ساعة الرمل والماء ، وكان الأطباء يحملونها عند

فحص المرضى ليقدروا دقات القلب وسرعة النبض . واستطاعوا كذلك أن يخترعوا ساعة تدق ساعات النهار جميعها مبتدئة من الساعة السادسة فى الصباح إلى السادسة بعد الظهر

وقد ألف كتاب فى الجراحة لأطباء الجيش فى مصر منذ ألفين وثمانمائة سنة قبل الميلاد . وعرف الهنود فى طب العيون عمليات القدح (إزالة الماء) ، وعرفوا خياطة المصران وإزالة الحصوة وذلك منذ سنة ألفين قبل الميلاد

وفى سنة ألفين قبل الميلاد وضع حمورابى قانوناً لتقدير أجر الأطباء وتحديد مسئولياتهم. وكانوا يعرفون كثيراً من الكلمات المألوفة الآن مثل فن تدبير الصحة والفيزيقيا والصيدلة والباثولجى والجراحة والسوداء والإسهال والروماتيزم وكثيراً غير هذه الأسماء أما أسماء العقاقير والأدوية فقد أخذنا أكثرها عن اللاتينيين كما هو معروف

وإلى اليوم يعتبر هيبوقراط رمزاً لعلم الطب . وإذا كان القدماء لا يعرفون الميكرسكوب فقد كانوا يهتدون إلى كل شىء بفطنتهم ودقة حسهم

أما الأطعمة فقد كان ينقصهم الكثير من الأصناف المعروفة الآن كالبرتقال والليمون والموز والشاى والقهوة والسكر ، وكانوا يستعملون عسل النحل بدل السكر ويستعملون الزيت عوضاً عن الزبد. لكن قدماء المصريين كانوا يعرفون صناعة الجعة (البيرة) ويشربونها ومن العادات المألوفة عند القدماء الاهتمام بحديث المائدة ، حتى إن أغنياء روما كانوا يدعون العلماء والكتاب إلى موائدهم لتوجيه الحديث إلى ناحية الصواب

هل نحن عرب ؟

[محاضرة ألقاها السيد فؤاد مفرج فى أحد الأندية العربية بمدينة نيويورك]

الأمة مجموع من الناس مرتبطون بشعور واحد ، ويجمعهم تاريخ مشترك ، ومطمح مشترك غايته إيجاد دولة واحدة والاحتفاظ بها ليعيشوا فى ظلها ويحققوا أفضل ما ينطوون عليه ...

وهكذا فإن كل من يشعر بإخلاص أنه عربى ، وفى صدره ولاء صادق للمثل العربية العليا ، فهو عربى بقطع النظر عن الدم والعنصر ...

ثم إنه ليس فى العالم أمة لم تختلط أصولها . فانكلترا مؤلفة من النورسيين ، والأنجلو ، والسكسونيين ، والنورمنديين. ومثلها فرنسا : وناهيك بأمريكا ...

ونحن مثل هؤلاء لا فرق عندنا بين السورى والعراقى والمصرى واللبنانى والفلسطينى والنجدى

لا جدال فى أن شعوباً كثيرة مرت بسورية والعراق ومصر، وتركت فى هذه الأقطار آثارها العنصرية . ولكن جميع هذه البقايا البشرية صهرت فى بوتقة العروبة ، وذابت فى الأمة العربية الحديثة ...

فالأمة العربية — ككل أمة سواها على وجه الغبراء — أصابها الامتزاج ، ولكن هذا المزيج عربى ، لأن لسانه عربى ، وثقافته عربية ، وعنصره الغالب السائد عربى ...

وجميع أجزاء الأمة العربية مترابطة المصالح والفوائد اقتصادياً وسياسياً ، وثقافياً ، ودفاعياً : —

فاقتصادياً ، ليس كاتحاد هذه الدول ما يوفر لها التبادل الحر، وإزالة الفواصل الجمركية ، ومنع الإنتاج الصناعى المستغنى عنه والحماية السياسية الكافية التى هى شرط جوهرى للفلاح والرخاء

وسياسياً ، فالاتحاد وحده هو الذى يمنع الاحتكاك بينها ، ويغنيها عن الإكثار من المصالح والنفقات التى لا لزوم لها ...

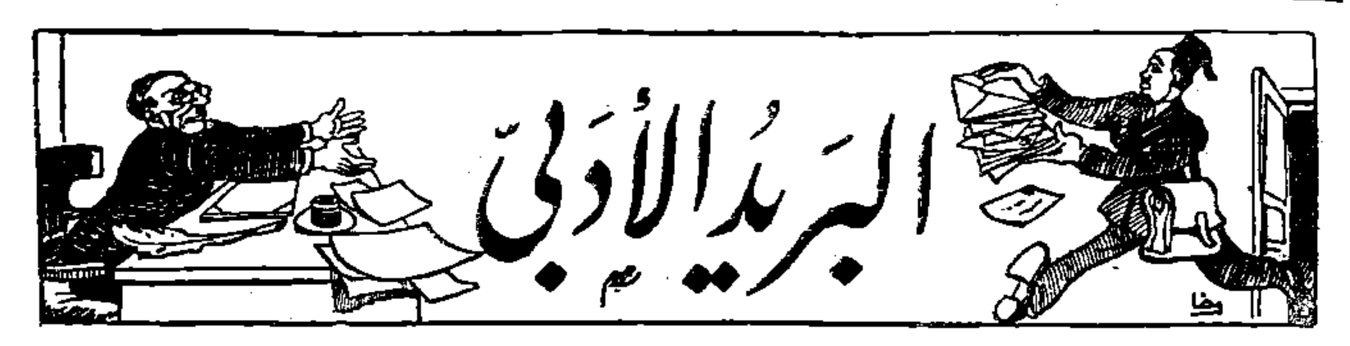
ودفاعياً ، نحن فى غنى عن القول بأن الاتحاد العربى ، على غرار الاتحاد الأمريكى ، هو وحده يحمى ويضمن بقاء الأجزاء التى تؤلفه ، والوحدات التى تكونه ، ونظرة واحدة إلى حوادث السنين — بل الشهور — الأخيرة تدلنا دلالة كافية على أنه لا أمان للأمم الصغيرة . فنعمة وجودنا أمة مؤلفة من سبعين مليوناً يجب أن تستقر فى أذهاننا ...

إن كثيرين منا لم يتح لهم الإلمام بتاريخ العرب المجيد . ألا إنه لولا ثقافة العرب العالية وتراثهم العلمى لكان وجود الحضارة الحاضرة مستحيلاً ...

إنه لشرف أن ننتمى إلى العنصر العربى

ويبدأ عمل الحركة العربية فى القلوب والأرواح ، فمتى تم اتحاد القلوب والأرواح ، أصبح الاتحاد السياسى والجغرافى نتيجة طبيعية ...

فالعروبة حركة قومية فيها الأمن والرخاء والفلاح لجميع العرب وبواسطتهم للانسانية جمعاء !



مصر والأمم العربية

أخي الأستاذ الزيات :

أقدم إليك أصدق التحيات ، ثم أذكرك بما تعاهدنا عليه من أن نكون جنوداً في جيش الأخوة العربية إلى أن نموت

وأنا من جانبي أذكر مع الأسف أن الحكومة المصرية لن تستجيب بسرعة إلى المطالب التي اقترحتها في كتاب « ليلى المريضة في العراق »

فلم يبق إلا أن تنوب عن الأمة إلى أن تستجيب الحكومة لما اقترحناه ، والأمم في كل أرض أسبق من الحكومات إلى الخير والجميل

والذي يهمني هو تذكيرك بما صنع إخواننا العرب هذه السنة في تمجيد مصر : فمجلة الحديث التي تصدر في حلب أصدرت عدداً خاصاً عن وادي النيل ، ومجلة العرفان التي تصدر في صيدا أصدرت عدداً خاصاً عن وطن شوقي وحافظ وصبري والبارودي ، ومجلة المكشوف التي تصدر في بيروت أصدرت عدداً خاصاً عن الوطن الذي كابد في سبيله الملك فؤاد ، وجريدة الهدف التي تصدر في بغداد تستعد لإصدار عدد خاص عن جورجي زيدان وهو لبناني احتضنه وادي النيل

فما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن سورية ولبنان والعراق ؟

وما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الحواضر المشهورة في البلاد العربية مثل تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز ؟

تأكد ، أيها الأخ ، أنك لن تجد أية صعوبة في تنفيذ ما أقترحه عليك ، وتأكد أن هذه الخدمة الأدبية ستحققها لك مصر ، لأن مصر يهمها أن تتعرف إلى سائر الأقطار العربية تعرف الشقيق إلى الشقيق

وفي انتظار جوابك بالقبول أرجو أن تتقبل تحية أخيك المخلص

زكي مبارك

(الرسالة) : اقتراح الصديق سديد مفيد . وسنعمل على تنفيذه بعون الله بعد شهور الصيف .

الروحيات والمعنويات في الإسلام

أستاذنا العزيز الزيات :

تحية وبعد فقد كتب أستاذنا الدكتور زكي مبارك في العدد (٣١٤) من « الرسالة » الغراء مشيراً إلى ما كتبنا إليه ذاكراً ما ذكرناه من أننا نرى أن اللذات التي سينعم بها المؤمنون في الجنة لذات روحية ، وأن اللذات التي ذكرها القرآن الكريم ليست كلها لذات حسية ، وأن القرآن الكريم عندما ذكر النعيم المادي إنما ذكره لجزاء لما قدم العباد من حسنات تتصل كلها بالروحانيات والمعنويات . فرأينا كاملاً أن أستاذنا أحمد أمين صادق كل الصدق في نظرته إلى أن القرآن كتاب روحانيات وكتاب معنويات ، وأنه عند ذكره الأشياء المادية لا يريد بها لذات مادية ، وأنه إن أراد بها أو ببعضها أشياء حسية إنما هي نتيجة اتباع لروحانيات ، واتصال بمعنويات . هذا هو الرأي الذي يستقيم مع أصل النصوص ويستقيم مع الفكر الإسلامي السليم . وإلا لو أراد أستاذنا الدكتور زكي مبارك منا أن نفهم فهمه لأخذنا بالرأي المضحك السقيم الذي ذكره مثلاً ابن عابدين في الجزء الثالث من حاشية « المختار » الدر المختار ص ٣١٥ فيما ذكره « من مطلب لا تكون اللواطة في الجنة من أنه قد قيل إنها صحية فتوجد ، وقيل يخلق الله تعالى طائفة نصفهم الأعلى كالذكور والأسفل كالإناث وأن الصحيح الأول . وفي البحر حرمتها أشد من الزنا لحرمتها عقلاً وشرعاً وطبعاً ... » . فلو أخذنا بالرأي الذي يقول به أستاذنا الدكتور لقلنا : إن المراد بالولدان أن يفهم ذكرهم

هذا الفهم السقيم ، وحاشا لله أن يكون كذلك . والأقرب إلى العقل أن يكون ذكر الولدان المتمتع بالفكرة الروحية التي يمسها الجمال الحسي ، وإنه إن جاز أن نأخذ في ذكر الحور العين باللذة الحسية ، فإنه لا يجوز أن يفهم هذا عن ذكر الولدان . على أن ما ذكره القرآن الكريم من حور عين ومن ولدان ولحم طير ورحيق وأباريق وفاكهة ، لا يجوز بحال أن نفهم أن ذكرها يؤيد أن القرآن يعنى بالحسيات ، أو أنه كتاب حسيات ، لأنه كما قلت إنما عنايته موجهه للمعنويات وذكرها يراد به اللذات المعنوية . وإن أريد من بعضها أو من ذكر بعضها اللذات الحسية فعلى أنها تابعة للذات المعنوية ويراد من ذكرها تقوية معانى الروحانيات عند المؤمنين لأنها جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى

والغريب أنى عند صدور عدد «الرسالة» الأخير قابلنى فى الترام أحد المبشرين الأمريكان يجادلنى فى هذه الفكرة التي يريد دكتورنا أن يأخذ بها المسلمون . وبعد فالدكتور زكى مبارك عزيز علينا ولكن أعز منه كتاب الله والفكرة الإسلامية السليمة التي يجب أن ندافع عنها ، وهى أن الإسلام دين روحانيات ومعنويات وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالحسيات والماديات ، بل هو يعنى بها وبتنظيمها التنظيم الذى يتصل بأن يرقى بالإنسان إلى الروحانيات ، وأنه عند ذكر الماديات الأخروية لا يريد بها جزاءها الحسى ، بل يريد بها جزاءها المعنوى الروحى ، وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هى فى دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكبر ما تتصل بالروحانيات والمعنويات ، والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود على قراعة

جماعة الفن والحرية

قرأنا فى عدد «الرسالة» رقم (٣١٤) الصادر فى ١٠ يوليو سنة ٩٣٩ كلمة جاءت فى صفحة البريد الأدبى تحت عنوان «الفن المنحط» وقد ورد فى هذه الكلمة أنه بهذا الاسم قد تكونت جماعة من الفنانين هى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع، وأن الفن المنحط الذى تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال عنه أنه منحط فعلاً ما دام يجد من يقول عنه إنه فن ، إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فناً ومنحطاً فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذباً . فالفن هو نتاج الحس ؛ ومتى توفر فيه الصدق ، فإنه سام رفيع ، ولا يفسده شىء ، ولا ينقص من شأنه شىء إلا أن يكون تكلفاً فهو عندئذ ليس فناً ، وإنما هو تهريج وتجارة .

وقد جاء فى هذه الكلمة أيضاً أنه إذا كانت جماعة «الفن المنحط» قد تألفت من أفراد صادقين فى شعورهم وتعبيرهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط ؛ أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقاً لا لشىء إلا لهذا التكلف .

وكل ما جاء فى هذه الكلمة صحيح من غير شك لا فى نظر كاتبها فقط بل فى نظرنا أيضاً ، لأننا لا نعتقد أبداً أن جماعة من الجماعات يمكن أن تقوم باسم «الفن المنحط» لتدعو الناس إلى الانحطاط فى الفن

لقد تكونت جماعتنا باسم «الفن والحرية» وأغراضها تنحصر فى الدفاع عن حرية الفن والثقافة وفى نشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات وإقامة المعارض الفنية العامة ، ثم هى تعمل فى نفس الوقت على إيقاف الشباب المصرى على الحركة الأدبية والاجتماعية فى العالم

هذه هى أغراض جماعة «الفن والحرية» فإذا كان فيها ما يدل على أنها تدعو إلى الانحطاط فى الفن فنحن نغتفر للكاتب ما ذهب إليه فى أمرها . أما أن يتصدى لنقد جماعة من الجماعات كاتب لا يعرف حقيقة اسمها ولا يعرف حقيقة أغراضها معتمداً فى هذا على الإشاعات والأقاويل فهذا ما ننزه كاتباً فى (الرسالة) عن خطأ الوقوع فيه

أنور كامل
عن اللجنة الدائمة لجماعة
«الفن والحرية»

انحطاط الطاقة ونهاية الكون ؟

إلى عالمنا المصرى الدكتور محمد محمود غالى :

أقرأ بإعجاب المقالات العلمية العظيمة التى يجود بها يراع العالم الطبيعى المحقق الدكتور محمد محمود غالى على صفحات الرسالة فأشعر بحنين نحو السوربون لأنه يخيل إلى وأنا أطالعها أنى أستمع إلى أولئك العلماء الأعلام أساتذة تلك الجامعة الكبيرة التى تلقيت فيها العلم أيام الصبا

وتتبعت على الأخص بإمعان مقالات الدكتور الأخيرة عن موضوع انحطاط الطاقة وتدهورها المستمر المحتم من صورها العليا كالكهرباء والطاقة الميكانيكية إلى صورتها السفلى وهى الحرارة، وكيف أن الكون سائر نحو مايسمونه « الموت الحرارى » على حد تعبير الدكتور العالم أى السكون التام الذى سينتهى إليه فى جميع أنحائه بجميع أجزائه وجزيئاته وذراته ومحتوياتها على النحو الذى شرحه الدكتور بما أوتى من علم وبلاغة، فلا كواكب تدور ولا شموع تسطع، ولا سيارات تضاء، ولا حركة من أى نوع ولا كهرباء ولا جاذبية ولا ضوء ولا حرارة مرتفعة الدرجة الخ .

وبطبيعة الحال لا حياة على الأرض ولا على غيرها بل إن الحياة تكون قد اندثرت من الكون قبل ذلك بملايين وملايين السنين لزوال أسبابها وعدم توفر شروطها وعواملها ، وما هى إلا حلقة من تطورات الطاقة تنتج من تحول الطاقة الكيميائية الناتجة من احتراق المواد الغذائية داخل الأنسجة إلى طاقة ميكانيكية كحركة الجسم وحركة أعضائه الداخلية وتفاعلاته الكيميائية البيولوجية وفى النهاية إلى حرارة شأن جميع صور الطاقة أثناء تحولها فى الطبيعة

فعاودنى حين قرأت هذه الصورة القبضة لنهاية الكون اعتراض قديم قام فى ذهنى حين سمعت هذا الرأى لأول مرة فيما مضى عند درس الطاقة البيولوجية ، وقد أشار فعلاً إلى هذه النهاية المحزنة أستاذى العالم الفسيولوجى الكبير المعروف عليه « داستر » فى دروسه بالسوربون وفى كتابه النفيس « الحياة والموت »

وإنى أطرح هنا هذا الاعتراض على الدكتور غالى لأستقى من بحر علمه الواسع راجياً منه أن يتحفنا بكلمة فى هذا الموضوع من كلماته الفياضة تروى غليلى .

أقول إنه لو كانت نهاية الكون هذه تحدث للأسباب المذكورة لحدثت من زمن . ذلك لأنه لو فرضنا أنه يلزم مثلاً مليار أو أكثر من السنين لتحول جميع صور الطاقة العليا فى الكون إلى حرارة غير مرتفعة الدرجة لتم ذلك من زمن بعيد لأن المادة (أو مجموعة المادة والطاقة) قديمة ، ولأنه مضى على الكون أضعاف أضعاف أضعاف هذه المدة . وهل يمكن أن يتصور العقل أن للكون بداية ؟ أليس هذا مخالفاً لأبسط الحقائق العلمية وللنواميس الطبيعية الأساسية ، وعلى الأخص لناموسى بقاء المادة وبقاء الطاقة وعدم تلاشيهما ؟ فكل من المادة والطاقة ثابت لا تخلق منه ولا تنعدم منه ذرة واحدة ، وإن كانت صورها فى تحول مستمر من الواحدة إلى الأخرى. وإذا كان العلم الحديث أوشك أن يوحد بين المادة والطاقة فيمكن أن يقال إن مجموعهما ثابت لا يخلق منه شىء ، ولا ينعدم منه شىء .

وبالجملة فإنه إذا كانت تلك الأسباب (انحطاط صور الطاقة العليا وتحولها شيئاً فشيئاً إلى حرارة منخفضة الدرجة) من شأنها أن تقضى على الكون بالسكون التام المطلق لحدث ذلك من قديم الزمان

فإذا صح هذا الاعتراض ألا تكون النتيجة الطبيعية المنطقية أن هناك إذاً عوامل أخرى مجهولة الآن لم تدخل فى حساب العلماء والرياضيين قد يكشف عنها العلم فى المستقبل فتتغير وجه المسألة ويطمئن حينئذ رجال الغد على مصير الكون ؟

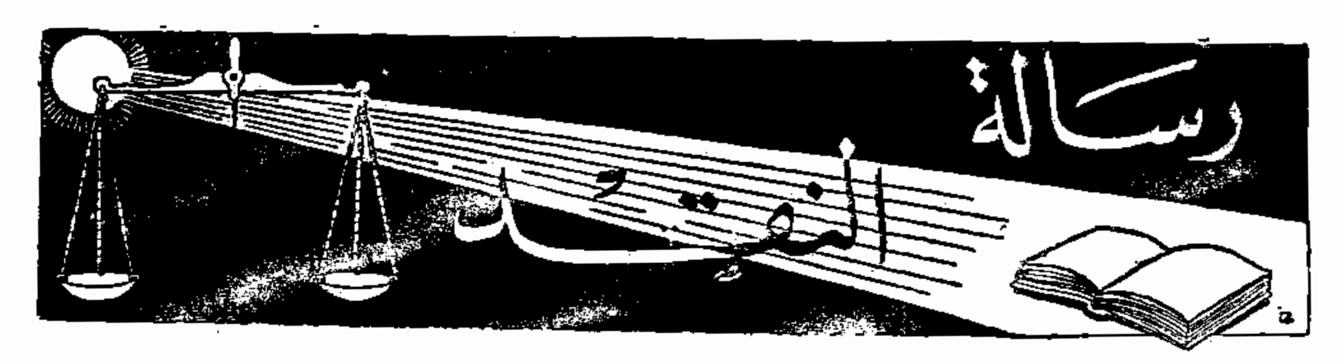
نصيف المنقبادى المحامى

عدد المكشوف الخاص عن مظاهر الثقافة فى مصر

أصدرت زميلتنا المكشوف البيروتية عدداً خاصاً عن مظاهر الثقافة فى مصر فى ٥٦ صفحة مزدانة بالصور المختلفة ، حافلة بالفصول المتعة والبحوث المستفيضة فى شتى مناحى الأدب المصرى ، دبجه أكثر من ٤٠ كاتباً وشاعراً مصرياً ، وبه حديثان أحدهما لمعالى هيكل باشا ، والآخر لسعادة العشماوى بك

وقد وُفق أكثر الكتاب كل التوفيق فيما عالجوه من الموضوعات ، ولكن أقلهم غلبت عليه نزعته الخاصة فلم يفطن إلى الحكمة من إصدار هذا العدد فخرج فيما كتب عن أسلوب المؤرخ المقرر الذى تقتضيه هذه الحال

والعدد يباع بمصر فى المكتبات التالية : التجارية الكبرى بأول شارع محمد على ، النهضة المصرية — ١٥ شارع المدابغ ، الهلال بشارع الفجالة ، زلزل — ٣ ميدان سليمان باشا .



على هامش كتاب

حيـــاة الرافعى

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود أبو ريه

أقبلت على قراءة كتاب (حياة الرافعى) لا كما يقبل عليها غيرى من أهل الأدب ومحبى الرافعى ، وذلك لما كان بينى وبين الرافعى رحمه الله من صداقة امتدت أكثر من ربع قرن فعرفت من أحواله وأنبائه شيئاً كثيراً ، فما فتحت عينى على هذا السفر النفيس الذى تحدث عن هذه الحياة المباركة حتى رجعت إلى ذاكرتى من ناحية ، وإلى كتب الرافعى الخاصة التى لدى من ناحية أخرى ، لأرى إن كان صديقنا سعيد العريان قد صدق فيما روى وحقق فيما أرخ ، أو هو قد سلك تلك السبل التى يتبعها أكثر المؤرخين من العناية بكثرة الحشد ، والتلفيق فى الرواية من ههنا وههنا بلا تمحيص فى ذلك ولا تحقيق ، كأن التاريخ لا حرمة له عندهم ، والحق لا رعاية لجانبه فى قولهم

جعلت ذلك همى من قراءة كتاب (حياة الرافعى) . أما البحث فى قيمته وأثره فى عالم الأدب ، وفضل صاحبه فى السبق إلى افتراع هذه الطريقة من الترجمة ، وما إلى ذلك من المزايا التى امتاز بها هذا الكتاب ، فقد تركت ذلك كله لغيرى ممن يعرضون لنقده أو تقريظه حتى لا يقال إن صديقاً يقرظ صديقه

قرأت الكتاب من ألفه إلى يائه قراءة تدبر ودرس فخلص لى منه أن أخانا الأستاذ سعيد قد فاز بالحسنيين : حسنى الوفاء للرافعى — والوفاء فى زمننا قد أصبح غريباً بل صار جريمة ومنكراً — وحسنى إحسان العمل من حيث التحقيق فى الدراسة واستيعاب كل ما يتصل بحياة الرافعى حتى خرجت هذه الشخصية الجليلة فى هذا السفر صورة حيـة . ذلك بأنه لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولم يذر شاردة ولا واردة إلا قيدها . بيد أن هناك أمرين ما أظن إلا أن اطراد البحث قد أعجله عن استكمال درسهما

ولأنى أعرف الحق فى هذين الأمرين فقد رأيت إحقاقاً للحق وإنصافاً لمن يتصل بهما أن أستعلن بما أعرف على صفحات الرسالة الغراء ليكون من علم قرائها الذين هم صفوة أهل الأدب فى العالم العربى ، ومنهم ولا ريب قراء كتاب (حياة الرافعى) لكيلا يفوتهم من أمر هذه الحياة الجليلة شىء

تحدث الأستاذ سعيد فى هامش الصفحة ١٣ من هـذا الكتاب قال : (كان للرافعى صلة روحية بالسيد البدوى ترتفع عن الجدل والمناقشة وله فيه مدائح وتوسلات شعرية كثيرة ...) وهذا القول لو أخذ على إطلاقه لبدا منه أن الرافعى رحمه الله كان من الذين يعتقدون بالتوسل بأصحاب القبور ، فيتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله يفزعون فى كل ما يهمهم إليهم ، ويستعينون بهم فى قضاء مآربهم . وإذا صح ذلك كان مغمزاً فى أعظم جانب من حياة الرافعى ، وهو الجانب الدينى ؛ لأن التوسل بأصحاب القبور عند المحققين وأهل البصر بالدين إنما هو شرك بالله يبرأ منه كل مسلم صحيح الإيمان . والرافعى رحمه الله كان إماماً فى الدين كما كان إماماً فى الأدب ؛ وكان من دعوته فى الحياة أن يعتصم

المسلمون بعروة دينهم الوثقى ، وأن يرجعوا من وثنيتهم إلى الدين الخالص الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

على أن هذا الأمر الذى أشار إليه أخونا سعيد لا يعرف غيرى وجه الحق فيه ، ذلك أنى كنت فى إحدى زياراتى للرافعى بطنطا فى سنة ١٩١٨ وما كدت أجلس إليه حتى قال لى : (أبشر يا أبا رية ، لقد اقتربت ساعة شفائى من علتى إن شاء الله (وهى العلة التى كانت بأذنه). ولما سألته عن مرجع هذه البشرى قال : « لقد رأيت السيد البدوى فى المنام ليلة الأمس قد جاءنى وبشرنى بالشفاء فنهضت من نومى وأنشأت فيه هذه القصيدة» ودفعها إلىّ فقلت له إن هذه القصيدة لو نشرت لكانت فتنة للمسلمين ، فخير لك أن تطويها حتى ترى تأويلها. ولأنه رحمه الله كان يعتقد فى عالم الروح اعتقاداً غريباً وكان يأخذ بالحديث الشريف فى أن دعوة المؤمن على ظهر الغيب تنفع، وكان بحسن ظنه يستيقن من إخلاصى له حتى كان لا يكتب لى خطاباً إلا ويطلب فى آخره ألا أنساه من الدعوات الطيبة، فقد كتب لى فى ورقة صغيرة هذه العبارة[١]

(أريد أن تذهب الآن إلى جامع السيد وتتوضأ وتصلى بعض ركعات ثم تقرأ ما تيسر من القرآن على نية أن يعجل الله بشفائى ثم تدعو لى بذلك فإن دعاء المؤمن لا يعدله شىء فى سرعة الإجابة مع خلوص النية . وأمس رأيت السيد البدوى فى الرؤيا وبشرنى بالشفاء ولهذا طلبت منك هذا الطلب)

وعلى أن ما طلبه منى ليس فيه شىء من التوسل بالسيد البدوى وإنما هو صلاة لله وقراءة لما تيسر من كتاب الله ودعاء خالص يصعد إلى الله ليعجل بشفائه

وهذا كله عمل خالص لله وحده فقد حاك بصدرى شىء من الشك فى عقيدته ، ورأيت من أجل ذلك أن أتلطف لمعرفة حقيقة ما يعتقد فى التوسل بالمشايخ ، فسألته فى خطاب بعد ذلك بقليل عما يقوله رجال الصوفية من أنه لابد لكل مسلم أن يتخذ (واسطة) من مشايخهم يصل به إلى الله ، وهل هو قد اتخذ هذه (الواسطة) فأجابنى فى كتاب تاريخه (١٥ يولية سنة ١٩١٨) بما يلى :

(... وأنا ألتجئ دائماً إلى الاستمداد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه واسطة الجميع ، ولا أدرى إن كان فىَّ استعداد للتلقى عن هذه الناية البعيدة أم لا)

وبعد أن انقضت شهور على هذه الرؤيا ولم تتحقق البشرى حدثته فى ألا ينشر ما وضعه من شعر فى السيد البدوى وأن يُبْعِدَه عن ديوانه، فقال: إن هذا ما سأفعله إن شاء الله وسأجعله مما أهمله من شعرى

هذا هو نبأ توسلات الرافعى بالسيد البدوى الذى تحدث عنه الأستاذ العريان

ومن يقرأ ما كتبه الرافعى فى الدين ووصفه لإسلام المصريين بأنه إسلام فرعوني[١] بما شابه من ذرائع الوثنية ، وما اختلط به من البدع الشركية ، يتبين له صدق ما قلنا وصحة ما روينا وأنه كان طوال حياته حرباً على الدجل والخرافات، والشعبذة والتوسلات، تلك التى لا يعرفها دين الإسلام؛ وأنه نذر كما يقول الأستاذ سعيد (أن يموت فى الجهاد وفى يده الراية ينافح بها الشرك والضلال ، ويدعو إلى الله ويواصل حملة التطهير[٢])

* * *

والأمر الثانى فى قول أخينا سعيد ، من أن السيد رشيد رضا رحمه الله ، لما قرأ مقدمة النسخة الأولى من مجلة البيان المنسوبة إلى الأستاذ الإمام محمد عبده قال : (... لقد كنت حاضراً مجلس الشيخ وسمعت منه هذا الحديث ، ولكن لم أجد له من القيمة الأدبية ما يحملنى على روايته)

وهذا القول لو ثبت على ما رواه صديقنا سعيد من أن مقدمة البيان من وضع الرافعى لكان ذلك طعناً فى خلق إمام كبير من أئمة الدين يذهب بالثقة به ويلقى الشك فى الأخذ عنه ، ولكن الذى جرى على وجه التحقيق أنه لما ظهرت مجلة البيان التى أصدرها الأستاذ الكبير عبد الرحمن البرقوقى قابلها حجة الإسلام السيد رشيد رحمه الله بالترحيب والتقريظ، وكتب عنها كلمة طيبة

(١) أطلعت أخانا سعيد على أصل هذه الورقة فى أوائل شهر مايو الماضى بالقاهرة وكنت معه بنادى دار العلوم وهى من خط الرافعى رحمه الله

(١) تراجع الصفحة العاشرة من الجزء الثانى من كتاب وحى القلم مقالة الاشراق الألهى .

(٢) تراجع الصفحة ٢٨٢ من كتاب (حياة الرافعى)

قصص العرب

للأساتذة

جاد المولى بك ، على البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم

للأستاذ أحمد التاجي

أثرت عن العرب قصص يرجع أقدمها إلى الزمان الأول ، كانت صدى لحياتهم ومرآة لأذهانهم ، وجماعاً لمعارفهم وأساطيرهم ولكنها تحتاج إلى إحياء وتجديد

أما إحياؤها فباختيارها من أسفارها ورفع الأنقاض عنها ، وجمعها في كتاب واحد ، وبتصحيح عباراتها ، وتحقيق حوادثها ، ثم يعرض كما قاله العرب ، ليتأدب به الناشئون وليتخذوا منه مادة لإنشائهم ، وغذاء لأفكارهم. وأما تجديدها فهو الخطوة الثانية وذلك بأن تطعّم بالأدب الحديث ، وتسق من المعارف التي وصلت إلينا ، لتناسب أبناء جيلنا ولا تنبو عن أذواقنا

والكتاب الذي نعرض له الآن يخطو الخطوة الأولى ، فيجمع قصص العرب كما حكوه وحدثوا به ، ويفصله في أبواب فيضع تحت كل باب ما ورد فيه من القصص

فقصص تدل على عقلية القوم واعتقاداتهم في الآلهة ، وقصص تستبين بها مظاهر حياتهم وأسباب مدنيتهم ، وقصص تجلو علومهم ومعارفهم ، وأخرى تظهر أخلاقهم من وفاء وكرم وحلم . وهكذا ينتقل من باب إلى باب ، والذي يربط بين القصص أغراضها ، وكنا نود أن ترتبط بعصورها ، فتنفع مؤرخ الأدب وليرى فيها أحوال كل عصر وآدابه ماثلة في قصصه

وكنا نود أيضاً أن تبرأ من الأخبار البعيدة عن القصص فإن ذلك قد تكفلت به كتب الأدب ، وما هي بقليلة

على أن للأساتذة جهداً مشكوراً إذ أتاحوا الفرصة لمن يدرس القصة العربية وتدرجها ، وعرضوا لنا مادة زاخرة تصلح هيا كل لقصص عربي حديث

وقد لاقوا عناء شديداً في تصحيح النصوص وتقويم الأشعار والتنقيب عن أصح الروايات ، يشهد بذلك من اطلع على ذلك السفر الجليل الذي ظهر آية في إخراجه – عدا بعض هنات مطبعية – وهذا عمل يقدره من يكابد القراءة في الكتب القديمة ، وطبعاتها السقيمة

فلهم ما يستحقون من الشكران **أحمد التاجي**

في مجلته (المنار) ولما تحدث عن حديث الأستاذ الإمام مع الأستاذ البرقوقي لم يقل إنه كان حاضر مجلس الشيخ ، ولا إنه سمع هذا الحديث ، وإنما قال عن الأستاذ البرقوقي إنه (نقل كلام الأستاذ الإمام بمعناه لا بحروفه قطعاً[1])

وهذا لا يعني أن الحديث من غير كلام الإمام أو أن الإمام قد تحدث به أمام السيد رشيد

هذا أهم ما رأيت أن أنشره في الرسالة . ولقد وجدت فيما بين يدي من كتب الرافعي رسائل في الأدب والدين واللغة تستأهل النشر لانتفاع الناس بما فيها ولعل الله يقيض لي – إذا وجدت من صدر الرسالة سعة – أن أنشر ما فيه الخير من هذه الرسائل .

ورحم الله الرافعي رحمة واسعة . **محمود أبو ريه**

(١) يراجع الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع عشر من مجلة المنار (صفحة ٨٧٥) الصادر في ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٢٩ — ٢١ نوفمبر سنة ١٩١١

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }